سلسلة المعارف الإسلاميّة

شبكة المعارف الإسلامية

دروس في الأديان

مركز نون للتأليف والترجمة

دروس في الأديان

اسم الكتاب:	دروس في الأديان
إعداد:	مركز نون للتأليف والترجمة
نشر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الأولى:	2014م - 1435هـ

سلسلة المعارف الإسلاميّة

دروس في الأديان

إعداد

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الدرس الأوّل: علم الأديان 15

معنى الدين 17

الصيغ المتعدّدة للدين 18

الدين يساوق الاعتقاد والخضوع 19

الدين عند علماء الاجتماع 21

فائدة علم الأديان 22

التديّن في العصر الحاضر 23

الدرس الثاني: الديانات الهندية -1- (الديانة الهندوسية) 27

نشأة الديانة الهندوسية 29

سكّان الهند قبل زحف الآريين 30

الكتب المقدّسة 31

الثقافة والتربية الفيدائية 31

أصول الديانة الهندوسية 33

آلهة الفيدا 34

الآلهة الثلاثة 35

نظرية التناسخ وتصوّر كارما 36
فلسفة وحدة الوجود 37
فلسفة اليوغا 37

الدرس الثالث: الديانات الهندية - 2- (البوذية والسيخ) 41
الديانة البوذية 43
سيرة بوذا 43
مبادئ البوذية 44
فلسفة بوذا 45
الفرق البوذية 47
الكتب البوذية المقدّسة 48
ديانة السيخ 48
سيرة نانك (مؤسِّس الديانة السيخية) 49
التعاليم 49
الآثار المذهبية 50
التاريخ السياسي للسِّيخ 50

الدرس الرابع: الصين واليابان (الديانة الكونفوشيوسية والشنتو) 55
أولاً: الكونفوشيوسية 57
سيرة كونفوشيوس 57
الآثار 58
التعاليم 58
الأصول الأخلاقية 59

المناسك 59
الأتباع والخصوم 60
الدين الرسمي 60
ثانيًا: ديانة الشنتو (اليابانية) 60
الخلفيات الاجتماعية 61
كتب الشنتو 61
ريجوبو (Rijibu) 61
الدين الرسمي 62

الدرس الخامس: إيران القديمة (الديانة الزرادشتية) 67
مقدّمة 69
سيرة زرادشت 70
كتاب الزرادشتيين 71
تعاليم زرادشت 71
الآلهة 72
آخر الزمان 72
خلود الروح 73
مغادرة الزردشتيون إيران 73

الدرس السادس: اليهودية -1- (نسب اليهود ورسلهم) 77
نسب اليهود 79
إبراهيم عليه السلام 80
يعقوب عليه السلام (إسرائيل) 82

موسى عليه السلام 82
بعثة موسى 83
معجزات موسى 84
العبور من البحر 85
الألواح والوصايا العشر 85
عبادة العِجل 86
وفاة موسى عليه السلام 87

الدرس السابع: اليهودية - 2- (تاريخ اليهود وفرقهم) 91
تاريخ بني إسرائيل 93
عصر الملوك 93
تجزئة البلاد 95
الأسر البابلي 95
إعادة بناء المعبد 96
نضال اليهود 97
تدمير أورشليم وتشريد اليهود 97
اليهود وسائر الأقوام 98
ظهور الصهيونية 98
تأسيس إسرائيل 99
الفرق اليهودية 100
1. الفريّسيون 100
2. الصدوقيون 101
3. السّامريّون 102

4. الإسِينيون 102
5. القرّاؤون 103

الدرس الثامن: اليهودية -3- (عقائد اليهود، أحكامهم وكتبهم) 109
عقائد اليهود 111
1. الأصول الثلاثة عشر 111
2. التوحيد في الديانة اليهودية 112
3. النبوة في اليهودية 112
4. المعاد في اليهودية 113
5. انتظار ظهور المسيح 114
أحكام اليهود 115
كتب اليهود 117
1. العهد القديم (تنَخ tenakh) 117
2. التَّلْمود 119
3. قبالا 121

الدرس التاسع: المسيحية -1- (سيرة عيسى عليه السلام) 125
عصر ظهور عيسى عليه السلام 127
سيرة عيسى عليه السلام 127
يوحنا المعمدان 128
التآمر على عيسى عليه السلام 129
نهاية مسيرة عيسى عليه السلام 130
عيسى عليه السلام ثائراً 131

1. اختراق تنظيمات العدو 131
2. التعميد في الدم 132
3. صليب الشهادة 132
4. السيف بدل السلام 132
5. الدعوة إلى الكفاح المسلّح 133
6. تحقير الملك 134
7. مخاصمة تجّار الدين 134

الدرس العاشر: المسيحية -2- (الرّسل والأناجيل) 139
الرسل الإثنا عشر 141
الكتاب المقدّس: العهد القديم والجديد 144
أقسام الكتاب المقدّس 145
1. الأَناجيل 146
2. أعمال الرسل 146
3. رسائل الرسل 147
4. الرؤيا والمكاشفة 147

الدرس الحادي عشر: المسيحية -3- (تأسيس الكنيسة والفرق) 153
تأسيس الكنيسة 155
أسباب انتشار المسيحية 156
ظهور الجدل الكلامي 157
المسيحية في روما 157
البابوات 159

سائر الأنظمة المسيحية 160
الفرق المسيحية 160
1. الكنيسة الكاثوليكية 161
2. الكنيسة الأرثوذكسية 161
3. الكنيسة البروتستانتية 162

الدرس الثاني عشر: المسيحية -4- (العقائد) 167
..... 167
اللاهوت 169
خلفيات العقائد المسيحية 170
ألوهية المسيح في الأناجيل 172
الثالوث 173
تثبيت التثليث في مجمع نيقيا 174
الفداء 175
الأسرار السبعة 176
1. التعميد 176
2. الدرجات المقدّسة 177
3. العشاء الربّاني (الإفخارستيّا) 178

المقدّمة

الحمـد لله رب العالميـن وصلى الله علـى سيّدنا محمد وآلـه الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد.

فـي زمن تعدّدت فيه الملل والأديان وتنوّعـت مشاربها. وفي لحظة حسّاسة وربما مصيرية بعد عقود من الحروب والصراعات المريرة والقتل الذي لم يعرف الحدود بين أبناء الجلدة الواحدة، وبعد تجربة الحروب الكونية والعالمية المدمّرة وغطرسة الأهـواء الاستعماريـة الفتاكـة. وفي عصـر أصبح العالـم برمّته أشبـه بقرية كونية تتلاقى فيه الشعوب بيسر وسهولة ودون عناء ومشقة رغم اختلافها وتباينها الشديد فيما بينها على مستوى التشريع والفكر والمعتقد.

وفي زمن لم يعد فيه حدود للعلم وتلاشت الحواجز أمام المعرفة، بتنا نحن البشر أحـوج ما نكون فيه إلى معرفة الآخـر وفهمه كما هو، هذا الآخر الذي هو شريكنا في الإنسانيـة من دون أحكام مسبقة وتحليلات عشوائية مغلّفة بإطار الجهل والعصبية، لما لهذا الفهم الصحيح والمعرفة الواقعية من آثار طيبة في تلاقي العقول والنفوس وما يمكن أن ينتج عن هذا التلاقي من فوائد جمة وآثار طيبة.

فنحن أبناء آدم لدينا الكثير من القواسم المشتركة فيما بيننا على مستوى الفكر والمعتقد، كما نتشارك في الإنسانية والعبودية لإله واحد وإن اختلفت طرق ومشارب

هـذه العبوديـة، إلا أنها في نهاية المطاف جميعها تهدف إلـى تحقيق أمر واحد وهو السعادة والراحة للنوع الإنساني.

من هنا برزت الحاجة الماسة لعلم الأديان لما لهذا العلم من مدخل مهم للمعرفة بالآخر وفهم أبعاد شخصيته العقائدية والفكرية، التي قد يختلف فيها مع غيره بأمور كثيـرة ولكن لو دقّقنا النظـر وتفحّصنا الواقع جيداً لوجدنا أنه يشترك معه في أمور أكثر...

وهـذا الكتاب «**دروس في الأديان**» بمضمونـه الجديد وإسلوبه الـذي تميّز بلغته العلميـة السهلة؛ التي تعتمد على المصادر الرئيسة عند الأديان بالغالب، هو محاولة في هذا الطريق، لكي لا يكون الدين عائقاً أمام رقي الشعوب وتلاقيها فيما بينها من أجـل بناء حياة إنسانية أفضل، حياة ملؤها السـلام والمودة التي دعا إليها الإسلام بشـدة. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]. علـى أمـل أن يكون نقطـة مضيئة في درب التلاقي والمعرفة الصحيحة بعضنا بالبعض من أجل مستقبل إنساني أرقى وأفضل.

مركز نون للتأليف والترجمة

(1) سورة آل عمران، الآية: 64.

الدرس الأوّل

علم الأديان

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يشرح معنى الدين بصيغه المتعدّدة.

2 - يبيّن رأي علماء الاجتماع بالدين.

3 - يذكر أهمية وفائدة البحث في تاريخ الأديان.

معنى الدين

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية كالقاموس المحيط، ولسان العرب أو غيرهما قد لا يستطيع الباحث أن يرسو على برٍّ حول معنى كلمة الدين، وقد يخيل إليك أن هذه الكلمة الواحدة يصح أن تستعمل فيما شئت من المعاني المتباعدة، وحتى المتناقضة «**فالدين هو الملك، وهو الخدمة، هو العزّ، وهو الذّل، هو الإكراه، وهو الإحسان. هو العادة وهو العبادة. هو القهر والسلطان وهو التذلل والخضوع. هو الطاعة، وهو المعصية. هو الإسلام والتوحيد، وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد الله به....**»[1].

والواقع أننا إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً، بل صلة تامة في جوهر المعنى، إذ نجد أنّ هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة، بل نجد أن التفاوت اليسير بين هذه المعاني الثلاثة مردّه في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق أنها تتضمّن ثلاثة أفعال بالتناوب. وبيان ذلك:

(1) راجع لسان العرب، معجم العين، القاموس المحيط مادة : دين.

الصيغ المتعدّدة للدين

إنّ كلمة «**الدين**» قد تؤخذ بعدة صيغ:

1 - تارةً من فعل متعدٍّ بنفسه: دانه، يدينه.

2 - وتارةً أخرى من فعل متعدٍّ باللام: دان له.

3 - وثالثة من فعل متعدٍّ بالباء: دان به.

وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة[1].

الصيغة الأولى: وهي «**دانه ديناً**»؛ تعني ملكه وحكمه، وساسه، وقهره، ودبّره، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه. فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرّف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة ومن ذلك «**ملك يوم الدين**» أي يوم المحاسبة والجزاء، ومنه قول العرب: اللّه الديّان: أي الحاكم القاضي... ومنه أنّ عليّاً ديّان هذه الأمة: أي حاكمها ومنه أيضاً: الكيّس من دان نفسه: أي من حاسبها.

وجاء في الموسوعة الفلسفية العربية في مادة «**دين**» لفظة «**دين**» العربية تضم معانيَ مختلفة، ولكنها وثيقة الارتباط فيما بينها، فاللفظة مشتقة من فعل «**دان**» وأصله «**دين**» ومعناه أذلّ، استعبد، وحاسب، وتدل هذه الأفعال الثلاثة على عمل تنشأ عنه علاقة بين طرفين يتفاوتان في المنزلة، يسمو أحدهما على الآخر في علاقة فعلية، حيث يملي الأعلى إرادته على الأدنى، ويحاسبه على أفعاله. فتنشأ عند من «**أُذِلَّ**» عاطفة «**طاعة**» للطرف السامي و«تعبّد» له، وسعي إلى خدمته مسلماً. ثم يتحول الموقف الخضوعي إلى «**عادة**» و«**شأن**» سواء في استلهام إرادة الأمر أم في إتمام ما يأمر به. وقد يرافق هذه «**العادة**» إما شعور «**بالورع**» تجاه «**السلطان**» وإما

(1) أنظر عبد اللّه دراز، الدين ص 28 وما بعدها، ود. سعود المولى بحوث في علم الاجتماع الديني – معهد العلوم الاجتماعية – الجامعة اللبنانية.

شعـور «**بالقهر**» مع ميل قوي إلى المعصية. ويرتبـط هذان الموقفان المحتملان مع فكرة ملازمة غالباً «**للمدين**» عن يوم «**الدين**» وهو يوم«الجزاء» أو «**المكافأة**»[1].

الصيغـة الثانيـة: وهـي «**دان لـه**»؛ أي أطاعه، وخضع له. فالديـن هنا الخضوع والطاعة، ومنه قولهم: «**دنت لفلان أي أطعته**».

الصيغـة الثالثـة: وهي «**دان بالشيء**»؛ أي اتخذه دينـاً ومذهباً بمعنى اعتقده أو اعتـاده أو تخلّـق به ومنه قولهم: «**هذا دينـي وديدني**» أو هذا «**دينـي ودين آبائي**» أي عادتي.

الدين يساوق الاعتقاد والخضوع

بالعودة إلى الصيغة الأولى والثانية لمعنى الدين من الواضح أن ما تفيده الصيغة الثانيـة من معنى الخضـوع مساوق لما تفيده الصيغة الأولى «**دانه فدان له**» أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع. إلا أن جهة الاختيار أبرز في الصيغة الثانية دون الأولى.

أما بالنسبة للصيغة الثالثة، فهي ظاهرة في أن الدين هو المذهب والطريقة التي يسير عليها نظرياً أو عملياً، فالمذهب العملي لكل امرؤ هو عادته وسيرته، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه.

ولا يخفـى أن هذه الصيغة الاستعمالية لكلمة «**ديـن**» تابعة للسابقتين، لأن العادة أو العقيـدة التي يدان بها، لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم اتّباعهـا. وزبدة الكلام أن هذه المعاني اللغوية لكلمة «**الديـن**» في العربية تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له.

(1) راجع الموسوعة الفلسفية العربية ج 1، ص 440 معهد الإنماء العربي.

- فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً.
- وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً.
- وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها.

بمعنى آخر يمكننا أن نقول إن المادة «**دين**» تدور كلها على معنى الانقياد والاعتقاد:

- ففي الاستعمال الأول: تستبطن كلمة «**دين**» معنى الإلزام والانقياد.
- وفي الاستعمال الثاني تستبطن كلمة «**دين**» معنى الالتزام والانقياد.
- وفي الاستعمال الثالث تستبطن كلمة «**دين**» معنى المبدأ الذي نلتزم الانقياد له.

وواضح أن معنى اللزوم يشكل قطب الرحى ومحورها في الدلالة اللغوية التي تدور عليها كلمة «**دين**» فإذا كانت بالفتح تضمّنت إلزاماً مالياً، وإذا كانت بالكسر اقتضت إلزاماً أدبياً[1].

وأما كلمة «**دين**» المستعملة في تاريخ الأديان فلها معنيان لا غير:

المعنى الأول: وهو تلك الحالة النفسية التي نطلق عليها اسم «**التديّن**».

المعنى الثاني: وهو تلك الحقيقة الخارجية التي تمثّل جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً، وهذا المعنى أكثر وأغلب.

(1) هكذا يتضح أن كلمة «دين» أصيلة في اللغة العربية وليس كما يذهب إليه بعض المستشرقين من أنها دخيلة، وأنها معربة عن اللغة العبرية أو الفارسية في كل استعمالاتها.

الدين عند علماء الاجتماع

تنــاول العديد من علمــاء الاجتماع مسألــة الدين بالبحث. وقد زعــم بعضهم أنّ الديــن هو التطوّر الطبيعيّ للسحر وما صاحبه من طقوس، وزعموا أنّ الدين محاولة مــن الإنسان البدائيّ لتطويع الطبيعة وتسخيرها لخدمته، وتفسيرها تفسيراً وهميّاً. وكان الهــدف الأوّل للإنســان هو إغــراء الطبيعة بمساعدته فــي مشاكله التي يعجز عــن مواجهتها. ويزعمــون أنّ السحر بدأ مع الإنسان فــي العصور الحجريّة القديمة بشــكل غير واع، ثمّ تطوّر إلى الشكل الواعي، على أساس خلق رموز ونماذج للطبيعة، بحيــث تتحوّل الطقوس إلى أشياء تحدث في العالــم الواقعيّ، وكانت أولى الخطوات نحــو ظهــور (الطوطم)، وهو الرمز الذي يمنــح الإنسان القــوّة، وتدريجيّاً صار لكلّ عشيرة أو قبيلة (طوطمها) الخاص، والذي تحوّل تدريجيّاً إلى إله تعبده هذه القبيلة أو العشيــرة...، وأقيمــت له الطقوس وقواعد العبادة التي هــي في الحقيقة (بحسب زعمهــم) صــورة أخرى للسحر البدائيّ، ولم يعر أيّ أهميّــة للجانب السماويّ، لا من خــلال المعجزات ولا من خلال الحجج والبراهين... بل زعموا أنّ فكرة الإله وجدت في المجتمعات الأولى بشكل عقائد انبثقت إمّا من الأفراد أو الجماعة، وفي الحالتين يكون من جعل الإنسان.

ويرى بعض علماء الاجتماع أن الدين في مراحله الأولــى يشبه السحر الابتدائي إلــى حدّ كبير، لأن الساحــر والمؤمن يسعيــان بأساليبهما لتسخيــر الوجود، وتوفير الراحــة والدعــة. فالساحــر والمؤمن يبغيــان الاستجابة لما يمليه القلــب وما يحقّق أمانيهما، فيرفعــان أيديهما بالدعاء ويستمدّان العون من القوى المنشودة، مع فارق أنّ الأول يبحــث عــن القوة التي يستمدّ منها العون في الطبيعة، والثاني يؤمن أنّها في ما وراء الطبيعة.

ويتّفــق علماء الاجتماع مع أتباع الديانات علــى أن الدين كسائر الظواهر الأخرى

يتكامل، غير أن أصحاب الديانات يعتقدون أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسيــة، في حين يرى العلمــاء أن الدين بدأ من السحر وعبادة الطبيعة والشرك، وختــم بالتوحيد، وقــد لفتَ انتباههم إلى ذلــك وجود أنواع من الأديــان البدائية في نقاط بعيدة نائية من العالم.

فائدة علم الأديان

إنّ الدافــع الأساســي وراء دراســة أيّ موضــوع وتحليلــه هــو الاستجابــة لغريزة التحرّي والبحث عــن الحقيقة، فأنت ترى العلماء يتعمّقون في دراسة الظواهر، دون أن يكــون هدفهــم جنْي الأربــاح الاقتصادية أو المنافع المادية. نعــم إن أسفرت عن نتائــج مطلوبة، حينها تُستثمر منافعها الاقتصادية. وبهذا الدافع يُفسَّر تعاون الدول وتشجيعهــا لعلمائها الذين يخوضون غمار التحقيــق باندفاع وشوق دون أن يعلموا إن كانت أبحاثهم ستثمر عن نتائج أم لا.

يمكن إبراز فوائد البحث في علم الأديان ضمن النقاط التالية:

أولًا: إنّ الباحث في تاريخ الأديان يستفيد من بحثه في سائر العلوم الانسانية، نظراً للصــلات الوثيقة التي تربط بينهــا، وتتأكد هذه الصلة في العلــوم المتشابهة. والديــن كظاهرة عاشت مع الانسان منــذ أن ظهر على وجه البسيطة. وقد احتلّ أهمية خاصة عند أهل التحقيق بعد اتضاح تأثيره البالغ في حياة البشر، ودوره الهام والواضح في نموّ ونضوج العلم والفن.

ثانيًا: الفائدة الأخرى المترتبة على البحث في تاريخ الأديان، هي تعزيز العلاقات بيــن المجتمعــات المختلفة. من هنــا تعمد الدول الكبــرى- كالولايات المتحدة فــي هذا العصــر- بغية إحــكام سيطرتها على الــدول الصغيرة إلــى الاتصال بالمتخصصيــن في شؤون تلك الدول، للاستفــادة من خبرتهم بعقائد الشعوب ونظمهم الروحية.

ثالثًا: إنّ البحث في تاريخ الأديان يوفّر منفعة معنوية لأصحاب الديانات أنفسهم، ويضفي عمقاً لاعتقاداتهم الدينية، حيث يتيح لهم الفحص والتنقيب عن الثغرات والانحرافات التي تعتري الأديان الأخرى، بغية إثبات صحة ما اعتقدوه من دين.

رابعًا: إن الخوض في تاريخ الأديان يفسح المجال للوقوف على العقائد الدينية للشعوب، الأمر الذي يُيسّر سبل هدايتها إلى الصراط السويّ، وإطلاعها على ما يلمّ بعقائدها من نقائص.

التديّن في العصر الحاضر

كان يراود ثلة من المفكّرين منذ عقود قريبة حلم اضمحلال الأديان. ولكنّ هذا الحلم لم يتحقّق على أرض الواقع قط، بل على العكس فقد ظهر موج من الإقبال المتزايد للشعوب نحو المعنويات والتدين في العالم المعاصر، وقد تجلى هذا الموج في أنحاء مختلفة في شرق العالم وغربه، ففي الغرب ظهرت ميول نحو المعنويات بشكل بارز وملفت، وفي الشرق تبلورت اتجاهات نحو إحياء الأديان المحلية كما برزت بوادر التعصب الذي يلعب دوراً هاماً في الحفاظ على هوية الأديان والشعوب. من هنا نلمس درجات من التعدّدية الدينية في أنحاء العالم حيث تتنافس الأديان فيما بينها لإظهار دعمها للتعايش السلمي.

- بالرجوع إلى المعاجم اللغوية قد يخيل أن كلمة الدين تستعمل في معانٍ متباعدة، وحتى متناقضة.
- في الواقع إننا إذا نظرنا في اشتقاق كلمة الدين ووجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً، إذ نجد أن هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى معان تكاد تكون متلازمة، وهي الانقياد والخضوع والاعتقاد.
- الدين عند علماء الاجتماع عبارة عن مرحلة متكاملة من السحر، التجأ إليه الانسان من أجل تأمين الحاجات المعيشية، لأن النظرة العلمية تتلخّص في أن كل ما ينزل من السماء يمكن تفسيره وتوضيحه.
- يعتقد أصحاب الديانات أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسية، في حين يرى الباحثون أن الدين بدأ من السحر، وختم بالتوحيد.
- للبحث في تاريخ الأديان فوائد جمّة، منها: الاستجابة لحبّ البحث عن الحقيقة، والانتفاع به في سائر العلوم، وتعزيز العلاقات بين المجتمعات، وإضفاء عمق للاعتقادات.
- يمكن تصنيف الأديان من زوايا مختلفة إلى أديان محلية وأخرى غير محلية.
- من الملاحظ والملفت جداً في هذا العصر الإقبال الزائد على الدين والمعنويات، حتى وصلت عند البعض إلى حد التعصّب.

أسئلة

1 - عرّف الدين، وتحدّث عن صيغه المتعدِّدة.

2 - اذكر مراحل الدين عند علماء الاجتماع.

3 - ما هي فوائد البحث في تاريخ الأديان؟

الأرواحية

يرى الباحثون في العلوم الإنسانية، أنّ الدين ظهر منذ عصر مبكّر في النزوع إلى عبادة الطبيعة، وقد شوهدت اليوم نماذج من هذا النزوع عند جماعات بدائية تقطن في بقاع بعيدة ونائية من العالم، وتجلّى في تعظيم القوى الطبيعية واستمداد عطائها وإحسانها. وتؤدّي الجماعات البدائية في عصرنا الحاضر طقوساً دينية خاصة، يرتدون خلالها ملابس عجيبة وغريبة، ويضعون أقنعة على الوجوه، وينتظمون في رقصات معيّنة، ملتمسين في ذلك العون من القوى الطبيعية، فتراهم مثلاً يخاطبون السحابَ بإنزال المطر، والأنهارَ والجداول بإرواء الأراضي المجدبة بعيداً عن طغيان الفيضانات، والأرض بالخصوبة، والمزارعَ بالبركة في المحاصيل، وأمثال ذلك. الأرواحية (Animism) دين قديم للعديد من الأقوام الغابرة، ومفاده أن لجميع مظاهر الطبيعة روحاً يجب عبادتها والسجود لها. وقد سادت بين الأقوام القديمة عبادة الأرض، والسماء والأجرام السماوية، والنار، والرعد، والبرق، والسحاب، والبحار، والأنهار، والعواصف، والغابات، والنباتات، والحيوانات لا سيما البقر، وثعبان الكوبرا، وكذلك عبادة طوطم القبيلة وأرواح الأجداد والسلف، والأرواح الخبيثة كالشيطان والجنّ. وقد ذمّ القرآن الكريم النزوع إلى عبادة الجنّ واللجوء إليه[1].

وتعتقد الأرواحية أن للطبيعة كما للإنسان شعوراً، وما الأصنام إلاّ رموز لقوى الطبيعة، فينبغي عبادتها وتقديم القرابين لها، اعتقاداً منها بأن الطبيعة سترضخ لها. وما زالت آثار هذا الدين لائحة في بعض الأديان الموجودة اليوم كالهندوسية.

(1) سورة الأنعام، الآية: 100، سورة سبأ، الآية:41، سورة الجن، الآية: 6.

الدرس الثاني

الديانات الهندية – 1 –
(الديانة الهندوسية)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتعرّف إلى نشأة الديانة الهندوسية.

2 - يبيّن أصول الديانة الهندوسية.

3 - يذكر آلهة الهندوس.

نشأة الديانة الهندوسية

زحف الآريون (الجنس الأبيض) قبل نحو 3500 سنة من آسيا الوسطى الى أطراف نهر السند (جنوب باكستان الحالية)، واتجهوا شرقاً حتى وصلوا الى بلادٍ، أُطلق عليها فيما بعد اسم «**الهند**».

وتزامن هذا الزحف مع زحف أفواج أخرى من الآريين صوب إيران وأوروبّا. وعلى الرغم من أننا نجهل بالمرّة اللغة الأصلية للأقوام الآرية، إلاّ أنّ لغاتهم بعد الهجرة هي لغات الهند وأوروبّا التي بينها قرابة أسرية.

إن لغة الأقوام الآرية التي انحدرت الى الهند، هي السنسكريتية (San - Skrita) التي تربطها قرابة مع اللغة الفارسية القديمة والبهلوية والأوروبية. وهذه القرابة قدّمت خدمات جليلة لعلم الألسنة، فالحرف (هـ) مثلاً في اللغة الفارسية يقابل الحرف (س) في السنسكريتية، وعليه فإن كلمة الهند مثلاً تقابل كلمة السند (Sindhu).

وكانت ديانة الآريين في الهند هي البرهمية (Brahmanism) نسبة إلى برهما (Brahma) إله الهندوس أو إلى برهمن (Brahman) الإله نفسه أو كاهن الهندوس.

لـم يُعرف للديانة البرهمية مؤسس يمكن الرجوع إليه. وهي تتضمّن مجموعة من التقاليد والعادات الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها. وقد تركت بصمـات واضحة على حضارة الهنـد، وعلى حياة سكّانها الفردية والاجتماعية. وما قيـل من أنهم سُمّوا براهمة لانتسابهم إلـى إبراهيم عليه السلام، هو زعم خاطئ، فإنهم المخصوصـون بنفي النبوات أصلاً فكيف يقولون بنبوة إبراهيم عليه السلام؟ وقيل سُمّوا بذلك لانتسابهم إلى رجل يقال له براهم هو الذي مهّد لهم مبدأ نفي النبوّات[1].

إن الديانة الهندوسية (Hinduism) التي انطلقت في القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد، هي شكل مبدّل للديانة البرهمية.

سكّان الهند قبل زحف الآريين

امتـاز سكان الهند وإيران الأصليون، قبل هجـرة الآريين إلى هذه البلاد، بقصر القامـة واسمرار البشرة، وكان لهم دين وثقافة وطقوس خاصة على مستوى حضارة مـا بيـن النهرين. وقد اندثروا في إيران بشكل كامـل إلاّ أنّ جماعات منهم بقيت في الهنـد، واتّجهـت صوب جنوبهـا، وتُعرف اليوم باسـم الدرافيديـة (Dravidians)، ويشـكّل المنبـوذون (Untouchables) طائفـة كبيـرة منهم. وسـوف يأتي الحديث عنهم.

وقد كشفت عمليات الحفر والتنقيب التي أجريت في مدينة موهنجودارو (Daro-Mohenjo) الواقعة على نهر السند (بالباكستان) عن وجود آثار عظيمة لحضارتهم، كمـا كشفت التنقيبات عن وجـود عدد كبير من آلهة الهندوس قبل زحف الآريين الى الهند.

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج2، ص251، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الكتب المقدّسة

جُمعت أدعية ومعتقدات الهندوس في مجموعة أطلق عليها اسم الفيدا (vedas) التي تعني العلم في اللغة السنسكريتية، وعرفت بـ (شروتي) (Sruti) التي تعني الوحي والإلهام أو العلوم المقدّسة الموروثة.

ويعتقد المؤرّخون أنّ تصنيف مجموعة الفيدا يعود إلى ما بين 1400 ـ 1000 ق. م. وعلى هذا الأساس أطلق العصر الفيدي على الفترة الممتدّة ما بين 1500 ـ 800 ق. م.

الثقافة والتربية الفيدائية

بلغت سطوة رجال الدين الهندوس (البراهمة ـ Brahmand) أوجها في حدود القرن السادس قبل الميلاد. حيث ساد نظام طبقي صارم، ألقى بظلاله على بلاد واسعة كالهند منذ أكثر من 2500 سنة، وما تزال آثاره باقية الى اليوم.

وقد أطلق الباحثون على الطبقات الاجتماعية اسم كاست (Caste)، وهو اصطلاح برتغالي، معناه الأصل. ويصنف المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات:

- البراهمة (Brahmanas)، وهم طبقة الكهنة ورجال الدين.
- الكشتريا (Kshartrias)، وهم طبقة الملوك، والأمراء، والمقاتلين.
- فيشيا (Vaisyas)، وهم طبقة التجار والزرّاع.
- الشودرا (Sadras) وهم أصحاب المهن السافلة والخَدَم.

ويمنع شرعاً وعرفاً معاشرة أفراد كل طبقة من الطبقات المذكورة للطبقات الأخرى، لا سيما الطبقة الأخيرة، حيث يُحظر الاتصال بها، بل النظر إليها من قبل أفراد الطبقات العليا، ويُعدّ تجاوز ذلك من الذنوب الكبيرة التي لا تُغتفر.

وثمّة طبقة أدنى من الطبقات الأربع المذكورة، وهي طبقة المنبوذين

(Untouchables)، وأفـراد هـذه الطبقة هم سكان الهند الأصليـون من غير الآريين. ويحظر على هؤلاء مخالطة أفراد سائر الطبقات أو التردد إلى أماكن سكناهم، إلاّ إذا اقتضت الضرورة ذلك كالقيام بجمع القُمامة مثلاً، وإذا أرادوا ذلك، فعليهم أن يرفعوا أصواتهـم معلنيـن عن طبقتهم، كي لا تقع أنظار الطبقـات العليا عليهم، وفي غير هذه الصورة يجب على من نظر إليهم التطهّر بالغسل، كما يتم البيع والشراء معهم من بُعد كأن يضع النقود في مكان خاص وينادي بالمتاع الذي يبغيه، ويتوارى عن الأنظار.

كمـا يحظر عليهم الاستماع الى تـلاوة الكتاب المقدس، ومـن استمع لها منهم، يجازى بصبّ الرصاص المذاب في أذنيه.

وممّـا يثير العجـب أن المنبوذين أَلِفوا هـذه الأُمور، إيماناً منهـم بأنها حق، وأن التعاسـة التي نزلت بهـم ليست إلاّ نتاج الأعمال القبيحة التـي ارتُكبت في الماضي، وحلّت بهم عن طريق التناسخ.

ويحظى نهـر الكنج (Ganga) المعطـاء، والذي يعني السريـع ويغطي مساحات شاسعـة من الهنـد، بمرتبة عالية مـن القداسة عنـد الهندوس، ويعتبـر الغسل فيه وخصوصاً في مدينة بنارس (Benares) عبادة مهمة.

وراجت في أوساطهم القرابين كعبادة، لا سيما قرابين الخيول (Asva-Medha)، ومن ثمّ أقيمت هذه المراسم من أجل تلبية الحاجات.

ويعد أهيمسا (ahimsa) - الذي يعني الاحتراز عن أذى الحيوانات- أصلًا مهماً، اكتسـب أهميّة بعد تأثّره بتعاليم مهاويرا. هذه التعاليم تمنع تناول لحوم الحيوانات، وتعتبـره عملاً غير أخلاقي، وقد تركت هـذه المسألة أثراً عجيباً على أسلوب معيشة الهندوس.

والهندوس يحرقون أجساد أمواتهم، وينثرون رمادها في نهر الكنج، وتزامن هذا العمـل في الماضي مع نـوم الزوجة في وسط ركام من الحطـب، وحرقها مع زوجها

الميت، ولأجل بعث الرغبة والشوق عند الزوجة للإقدام على هذا الأمر، أُطلق عليها لقب ستي (Sati) . أُطلق هذا المصطلح السانسكريتي في اللغة العربية على المرأة التي تحظى بمقام اجتماعي رفيع. وإذا لم تستطع الزوجة تحمل هذه التضحية، فإنها تحلق شعر رأسها، وتبارح الوطن. ولما احتلّ الإنجليز بلاد الهند عام 1829 م، منعوا حرق الزوجة حيّة، فلم يتخلّف عن هذا المنع إلاّ قليل.

أصول الديانة الهندوسية

أصول الديانة الهندوسية عبارة عن الاعتقاد بالكتب القديمة والطقوس الدينية للبراهمة واحترامها، وعبادة الآلهة التي ظهرت في الأدوار القديمة، والاعتقاد بالتناسخ، و رعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في أسلوب المعيشة والزواج، واحترام الموجودات الحيّة أيضاً لا سيما البقرة التي هي من أصول دينهم. وتحتل البقرة عند الهندوس مكانة رفيعة تصل إلى حد التأليه والتقديس حيث تقام لها التماثيل في الدور والمعابد والساحات العامة، وتتجول في الشوارع بكامل حريتها وتأكل الفواكه والخضر المتوفرة في الحوانيت دون أن يعترضها أحد، ويُحظر أكل لحمها والانتفاع بجلودها، وإذا نفقت تقام لها مراسم دفن خاصة بها. وقد عمت تلك المقررات سائر الدواب بدءاً من الحشرات وانتهاءً بالفيل، وبالطبع فإن تلك المقررات لا تجري في المناطق التي لا يسكنها الهندوس وأما النواحي التي تقطنها أقلية هندوسية فإن السلطات المحلية تتخذ تدابير من أجل ذبح الأبقار وعرض لحمها بعيداً عن الأنظار. وهناك قليل من الهندوس يتناولون لحم الشاة، وقد يفرض الحظر على تناول البيض في بعض المدن.

يُذكر أن تناول بول وسرجين- أي روث - البقرة للتبرك والتطهّر أمر متداول في الهند حتى أصبح تناول خمسة أشياء منها (pamca – gavya) وهي الحليب واللبن الرائب والدهن والبول والسرجين واجباً لتطهير النفساء أو المسافر من الهند، وفي

بعض الأحيان تُجلب البقرة إلى المكان الذي يراد تطهيره ولا تفارقه حتى تضع فيه بولها وروثها.

آلهة الفيدا

آمن الهندوس بعدد ضخم من الآلهة السماوية والأرضية، وذكروا لها أسماء وصفات عجيبة وغريبة، وأقاموا لكل منها هياكل عظيمة. وترتبط هذه الآلهة فيما بينها بروابط نسبية وسببية.

وقد نقلت كتبهم المقدسة الكثير من التفاصيل عن الصفات الجسمية والنفسية لهذا العدد من الآلهة. ويعتبر الاعتقاد بتجلّي الآلهة على هيئة انسان أو حيوان في أدوار مختلفة من المعتقدات التي حازت على اهتمام واسع.

وقد صنّفت الآلهة وفق الطبقات الاجتماعية السائدة، ومن أشهرها:

أغني (Agni) إله النار.

فارونا (Varuna) إله السماء.

إيشفارا (Isvara) إله القوة والقدرة.

رودرا (Rudra) إله الخوف والفزع.

راما (Rama) إله العواطف.

كريشنا (Krishna) إله الماء الصافي.

ياما (Yama) إله الموتى وحاكمهم، وهو يماثل (جم) عند الزرادشتيين.

اشفين (Asvin) وتعني الفارس. وتطلق على ملكين اثنين من ملائكة الهندوس الذين يعتقدون أنهما يمنحان الصحة والسعادة والغنى.

ويعتقد الهندوس أيضاً بأُلوهية كالي (Kali) التي تعني أسود، وهي قبيحة المنظر، ويقدّمون إليها هدايا من عمليات السلب والنهب.

جديـر بالذكر أنّ الأصنـام تنحت بشكل جذّاب، حتّى عُدّ الصنم في الشعر كناية عن المحبوب الجميل.

الآلهة الثلاثة

آمن الآريـون الهنود ـ كسائر المشركين ـ بإله العالم الحقيقي، وأطلقوا عليه اسم برهمـا (Brahman) ومعنـاه القائـم بالذات والأزلـي والأبدي، ولم تكـن لديهم في البدايـة أوثان ولا معابد لهـا، بل كانوا يقيمون طقوسهم في الهـواء الطلق، ويعبدون الآلهـة التي كانـت رمزاً للكواكب والنجوم في السماء، ثـم أقبلوا في الأدوار اللاحقة على عبادة عدد لا حصر له من الأصنام والأوثان، وأقاموا لها هياكل عظيمة ومختلفة، وأضافوا إلى آلهتم آلهةً أُخرى مثل إلهة الأرض، وإلهة ثعبان الكوبرا، وإلهة الأم.

إنّ الآلهة الثلاثة للهندوس (Hindu Trimutrti) عبارة عن:

- برهما (Brahman)، ربّ الخلق.
- شيفـا (Siva)، ربّ الفناء والدمار، وقد انتشرت تماثيله ذات الأيدي الأربع في حالة الرقص، ويدل رقص شيفا على دوره الهام في الدمار والفناء.
- فشنو (Vishnu)، ربّ الحفظ، والتجليات العشر لهذا الإله على طول التاريخ عبـارة عن: السمك، السلحفاة، الخنزير الوحشي، موجود على هيئة نصف إنسـان ونصـف أسـد، القزم، راما (Rama) وبيـده طبر، راما، كريشنا (Krishna)، بوذا (Buddha)، وكلكي (Kalki)[1].

وقـد تشعبّت الهندوسية إلـى فرق لا حصر لها، وهي تعيش مـع بعضها بعضاً في صلـح وصفاء، ويؤكد أتباع تلك الفرق على زوايـا خاصة من الدين، وأقبلت كل فرقة علـى عبادة إله من الآلهة الثلاثة. ويشكّل أتباع شيفا وفشنو نسبة عالية منهم. تجدر

(1) وهو الموعود به في آخر الزمان لإصلاح العالم، يظهر على فرس أبيض شاهراً سيفه.

الإشارة إلى أن عبدة شيفا يعبدون عورته أيضاً ويطلقون عليها اسم لينغا (Linga)، وتنتشر تماثيل لينغا ومعابده بصورة كبيرة أيضاً.

نظرية التناسخ وتصوّر كارما

طبقـاً لقانـون كارما (Karman) ـ الـذي يعني العمل ـ فإنّ الإنسـان سيرى نتيجة عملـه في أدوار الرجوع إلـى الدنيا مجدداً، فمن يعمل خيراً، فإنه يحظى بعد رجوعه إلـى الدنيـا بحياة طيبـة سعيدة، ومن يعمل شـراً، فإنه يحيا بعد رجوعـه في تعاسة وشقـاء، وقد يتجلّى بهيئة حيوان. وحسب نظرية التناسـخ، فإنّ رجوع الإنسان يمكن أن يتزامن مع إحدى الصور الأربع، التي سنذكرها تباعاً:

- الرسخ، ويعني حلول روح المتوفّى في الجمادات.
- الفسخ، ويعني حلول روح المتوفّى في النباتات.
- المسخ، ويعني حلول روح المتوفّى في الحيوانات.
- النسخ، ويعني حلول روح المتوفّى في الإنسان (التناسخ).

وتتجلّـى سمسارا (Samsara) وتعنـي التناسخ في الأديان والمذاهب (حتى عند بعض الفـرق الإسلامية المنحرفـة) بصور وعناويـن مختلفة، ولكن هـذه العقيدة اكتسبـت أهمية خاصـة في دين الهندوس. ويعتقد الهندوسـ أن الإنسان في معرض دوامـة التناسـخ، ومكابدة نتائج الـولادات المكررة في هذا العالـم المليء بالمشقة والمحن.

والمنقـذ الوحيد للانسان من دوامة التناسخ والـولادات المكررة في هذا العالم، هـو اللحوق بنيرفانا (Nirvana) وتعني هذه الكلمة لغة الخمود والهدوء، واصطلاحاً الفناء في الله. وقد حازت النيرفانا على اهتمام واسع من قبل البوذيين.

فلسفة وحدة الوجود

يعتقد حكماء وعلماء الهندوس أن هذه الأعداد الهائلة من الآلهة، إنما هي مظاهر لإله واحد عظيم، وأن الموجودات قاطبة تشكل أجزاء هذا الإله العظيم. وهذا العالم بجميع ما فيه، ليس في الواقع إلاّ خيالاً، ويطلق على هذا الخيال اسم مايا (Maya) أي الوهم والخداع. وحسب تصوراتهم فإن جميع هذه الصور الوهمية سوف تفنى ويبقى برهما حقيقة ثابتة لا تزول.

إنّ قوانين الأخلاق والتصوف للدين الهندوسي كانت ـ ومنذ قرون غابرة ـ موضعاً للاهتمام. وقد سحر العرفان الهندوسي الغرب في القرون الأخيرة، كما سحر العرفان الاسلامي الغرب وأثار إلى الاسلام انتباههم[1].

فلسفة اليوغا

يعتقد الهندوس أن الوصول إلى الحقيقة أو الاتحاد بالإله القادر يتم عبر طريقة اليوغا (Yoga)، وتعني وضع القيود، وهي رياضة صعبة وصارمة، يجلس فيها المرتاض جلسة القرفصاء، ويستغرق في السكون والتأمل طويلاً. وثمّة أساليب أخرى متداولة مثل الوقوف منكوساً، الانحناء وتعليق اليدين، الجلوس على سرير مملوء بالمسامير. هذه الأعمال قد تستمر لعقود كثيرة، ترافقها أُمور صعبة للغاية، منها وضع الماء أمامه، والبقاء في حالة الظمأ[2].

وعلى الرغم من أن الهدف من هذه الرياضة هو الوصول إلى الحقيقة، إلاّ أنه تظهر أحياناً للقائم بها كرامات، ويعتقد اليوغي (Yogin) أنّ هذه الأُمور تحول دون وصوله للكمال.

(1) Mircca Eliade (ed) The Encylopedia of Religion vol.15. pp 460 – 1.

(2) جاءت آداب وشرائط اليوغا في كتاب بتانجالي (Patanjali)، ونقله إلى العربية العالم الإسلامي أبو ريحان البيروني.

- تزامن زحف الآريين (الجنس الأبيض) قبل نحو 3500 سنة من آسيا الوسطى الى أطراف نهر السند (جنوب باكستان الحالية) مع زحف أفواج أخرى صوب إيران وأوروبا.
- الهندوسية هي دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها. وكان يطلق على دين الهندوس قديماً اسم البرهمية نسبة إلى براهما إله الهندوس.
- وتتلخّص أصولها في الاعتقاد بالكتب والطقوس الدينية للبراهمة، وعبادة الآلهة، والاعتقاد بالتناسخ ورعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في المعيشة والزواج واحترام الموجودات الحية.
- إنّ الديانة البرهمية لم يُعرف لها مؤسس يمكن الرجوع إليه، وهي تتضمّن مجموعة من التقاليد والعادات الاجتماعية والثقافية.
- جُمعت أدعية ومعتقدات الهندوس في مجموعة أطلق عليها اسم الفيدا (vedas)
- المنبوذون هم سكان الهند الأصليون من غير الآريين. ويحظر على هؤلاء مخالطة أفراد سائر الطبقات أو التردد إلى أماكن سكناهم
- يحرق الهندوس أجساد أمواتهم، وينثرون رمادها في نهر الكنج
- آمن الآريون الهنود بإله العالم الحقيقي، وأطلقوا عليه اسم برهما (Brahman) ومعناه القائم بالذات والأزلي والأبدي. أما الآلهة الثلاثة الأساسية للهندوس (Hindu Trimutrti) فهم: برهما- شيفا- فشنو.
- يعتقد الهندوس أن الإنسان في معرض دوامة التناسخ، ومكابدة نتائج

الولادات المكررة في هذا العالم المليء بالمشقة والمحن.

- يعتقد حكمـاء وعلماء الهندوس أن هذه الأعداد الهائلة من الآلهة، إنما هي مظاهـر لإله واحد عظيـم، وأن الموجودات قاطبة تشكل أجـزاء هذا الإله العظيم.
- يعتقـد الهندوس أن الوصول إلى الحقيقة أو الاتحـاد بالإله القادر يتم عبر طريقة اليوغا (Yoga)، وتعني وضع القيود.

أسـئـلـة

1 - كيف كان سكان الهند قبل زحف الآريين؟

2 - تكلّم عن طبقة المنبوذين.

3 - ما هي أصول الديانة الهندوسيّة؟

مطالعة

العقيدة الهندوسية

تتلخّص أصول الإيمان الهندوسي في أربعة أشياء:

1 - ألوهية الروح.

2 - وحدة الموجودات.

3 - وحدة الألوهية.

4 - وحدة المذاهب والأديان.

إنّ الدين الهندوسي دين منفتح على بقية الأديان، لذا فإنه يتيسّر للهندوس أن يعتنقوا أديانـاً أخرى إضافة إلى دينهم. وعلى الرغم من ذلك فإن التعصب المقيت نجده شائعاً عند الهندوس. ويكفي أن نذكر أن غاندي وبسبب اعتقاده بضرورة مساواة الهندوس مع المسلمين، قد أضمر له جماعة من الهندوس العداء، الأمر الذي حدا بأحد أعضاء هذه الجماعة إلى أن يطلق النار عليه ويرديه قتيلاً. إنّ التعصب القومي الهندوسي وصل إلى ذروته في العقود الأخيرة، وأحد مظاهر هذا التعصب الأعمى المقيت، هو تخريب مسجد بابري الذي راحت ضحيّته العشرات من المسلمين والهندوس. وكانت ذريعتهم في هذا العمل التخريبي هي أن مكان مسجد بابري كان مهد الإله راما، فهم يدّعون أنّ فشنو (أحد الآلهة الثلاثة) قد تجلّى بصورة صنم راما، وأنه تمّ بناء معبد له في ذلك المكان الذي تحول فيما بعد الى مسجد. وبهذه الذريعة راحوا ينصبون الأصنام على أطلال هذا المسجد ويعبدونها ريثما تحين الفرصة المناسبة لبناء معبدهم.

الدرس الثالث

الديانات الهندية – 2 –
(البوذية والسيخ)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتعرّف إلى سيرة بوذا.

2 - يبيّن مبادئ البوذية.

3 - يذكر نشأة ديانة السيخ وأهم مبادئها.

الديانة البوذية

تعتبـر الديانة البوذيـة إحدى فروع الديانـة الهندوسية، إلّا أنهـا تجاوزت حدود الهنـد، وزحفـت نحو الشـرق الأقصـى، واستطاعت أن تجـذب أتباعـاً كثيرين بما تضمّنته من أفكار معنوية وروحية، وأخيراً اتسع نطاقها لتشمل أمريكا وأوروبّا.

سيرة بوذا

بـوذا (Buddha) ويعنـي الملهـم، المشـرَق عليه، هـو لقب غوتامـا ساكياموني (Gautama Sakya - muni) مؤسـس الديانة البوذية الاصلاحية. وحسب معتقدات البوذية، فإنّ بوذا هو ابن ملك مدينة كبيلا فاستو (Kapila-Vastu) الواقعة في شمال الهنـد. ولد عام 563 ق.م. وأطلـق عليه في البداية اسم سيذارتـا (Siddhartha)، ويعني «**الّذي حقّق غايته**»، وقد تنبّأ المنجّمون بأنه حين يشاهد آلام المرضى وهرم الشيخوخـة وصور الموت والفناء، ويلتقي بأحد المرتاضين، فإنه سيعزف عن الدنيا ويُقبـل علـى الرياضة، ولهـذا السبب حاول أبـوه إبعاده عنها من خـلال توفير حياة رغيدة ونعمة مقيمة له، وسارع أبوه فزوّجه، وهو في مطلع شبابه ببنت عمه ياسودهرا (Yasodhara)، ولم يطل الوقت حتى رزق ابناً سمي راهولا (Rahula)، وفي سن 29

مــن عمره وبعد أن شاهد الأمور السالفة الذكـر، تسلل ليلاً من القصر والنعمة التي كان فيهـا، وانخرط في سلك الرهبان، بارشاد من آلارا (Alara)، وبعد ست سنوات مــن الرياضة الشاقّة والصارمة في الغابة، خاب أمله فـي الوصول إلى الحقيقة عن طريقهـا، فتخلّى عنها، وأخذ بالتأمل والتفكر والمراقبة الروحية، واستغرق هذا ست سنــوات أُخـرى، ومن ثمّ أمضى ما يقرب من سبعـة أسابيع في صراع عنيف مع مارا (Mara) ـ أي الشيطـان ـ تحت شجرة عرفت فيما بعـد بشجرة اليقظة، وفي النهاية رصد الحقيقة، وتنورت بصيرته، وصار بوذا عصره.

وحسب معتقدات البوذيين، فقد ظهر على مسرح التاريخ في العصور الغابرة عدّة بـوذاوات، أطلق على كل واحدٍ منهم قبل ظهوره بوذي ستف (Bodhi-Sattva) وتعني من تيسّرت له المعرفة الكاملة، أو بوذا بالقوة.

وجاب بوذا البلاد لمدة 40 سنة في سبيل نشر دعوته، والتفت حوله مجموعة من الشباب علّمهم مبادئه ولقّنهم دعوته، وكان من أبرزهم ابن عمه آننده (Ananda). وأخيرا التحق بالنيرفانا عام 483 ق.م. وهو في سنّ الثمانين.

إنَّ قصــة حيــاة بوذا العجيبة امتازت بالجاذبية منذ أزمــان سحيقة، ولهذا فإنها ترجمــت إلى مختلـف لغات العالم، وقد ترجمــت إلى اللغة العربية مــع إضافات من الثقافة السريانية، واشتهرت بين المسلمين باسم قصة بلوهر ويوذاسف[1].

مبادئ البوذية

إنَّ الافـكار الإصلاحية التي نادى بها بوذا، والتي تناهض تطرف البراهمة وتلغي الاختــلاف الطبقي ـ تعـدّ أساس المبادىء الأخلاقية التــي تضمّنتها مجموعة تعرف

(1) أنظـر: إكمـال الدين للشيخ الصدوق: ج 2، ص577 ـ 638؛ بحـار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 75، ص383 ـ 444، ووردت ترجمة القصة باللغة الفارسية في رسالة مستقلة، ضمن كتاب «عين الحياة» للمجلسي، كما ترجمت إلى اللغة العربية مع تغيير أبطالها من الآراوبوذي ستف إلى بلوهر ويوذاسف.

باسم تري بيتكا (Tri-Pitaka) وتعني السِّلال الثلاث. وتعتمد هذه المبادىء إلى حدّ بعيد على أصول الديانة الهندوسية من الإعراض عن الدنيا، وتهذيب النفس، والتأمّل، والمراقبة، والحثّ على التخلّص من دوامة هذه الحياة الدنيا الشاقة، والالتحاق بالنيرفانا، إلاّ أنها توسّعت في مفاهيمها.

إنّ ديانة بوذا سادت في معظم أرجاء الهند في القرون اللاحقة، ثمّ أخذت بالانتشار في الدول المجاورة. وظهر في القرن الثامن والتاسع عالمان هندوسيان قاما بإصلاح الديانة الهندوسية، الأمر الذي أدّى إلى اختفاء الديانة البوذية من الهند شيئاً فشيئاً، وحلّت محلّها الديانة الهندوسية، إلاّ أنّ البوذية أخذت بالانتشار في الشرق الأقصى وبأشكال مختلفة.

فلسفة بوذا

لمّا وصل بوذا إلى الحقيقة كما يُدّعى، انطلق إلى مدينة بنارس للعثور على الرهبان الخمسة الذين أعرضوا عنه، وكان يعتقد أنهم يبحثون مثله عن الحقيقة، الأمر الذي يتيح له تلقينهم مبادئه، وما أن وطئت قدماه أرض بنارس حتى التقى بهم، ودارت بينهم محاورة بيّن فيها بوذا فلسفته ورؤيته العقائدية والأخلاقية، نذكر منها:

- الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر، هذا هو القانون الأول للحياة.
- التضرّع والدعاء والقربان للربّ لا تجدي نفعاً. فالماء ينحدر نحو الأسفل دائماً، والنار حارة أبداً، والثلج بارد دائماً، فلو تضرّعتم بين يدي آلهة الهندوس جميعها، لما أثّر ذلك في تغير مجرى الماء نحو الأعلى، وفي جعل النار باردة والثلج حاراً. فقوانين هذه الظواهر لا تبطل، والتضرّع والدعاء أمام الآلهة لا يجديان في إبطالها.
- لا يعتقد بالمرة أن برهما خلق شيئاً كي يكون العالم من صنعه. بل العالم أزلي مستمر، ليس له مبدأ ولا نهاية.

- هنـاك حـدان متناقضان، يجـب أن يبتعـد عنهما الذين تخلّـوا عن الحياة الدنيـا، **الأول**: الانسياق في الملذات، وهذا أمر سافل وعقيم، **والثاني**: هو طريق التقشف وإماتة الجسد، وهذا أمر مؤلم وعقيم أيضاً.

ويختصر بوذا فلسفته العقائدية والأخلاقية الموصلة إلى طريق الصواب بالقول: وجـدت بعـد تفكير طويل طريقـاً وسطاً يفتح العيـون ويحفّز العقـول، ويقود إلى الراحة والمعرفة والإشراق والنيرفانا. إنه طريق طويل ذو ثمانية مسالك، وهي:

1 - الاعتقاد الصحيح، ويعني الاعتقاد بأن الصدق يقود الانسان نحو الفلاح.

2 - العزم الصحيح، ويعني التحلّي بطبيعة هادئة، تمنعه من إلحاق الأذى بالحشرات والحيوانات.

3 - القول الصحيح، بالابتعاد عن الكذب والتفوه بالكلام البذيء.

4 - العمل الصحيح، بالاحتراز عن السرقة وتلطيخ الأيدي بدماء الآخرين.

5 - العيش الصحيح، بتجنّب ارتكاب الأفعال القبيحة، كأكل الربا، والاكتساب بمال السرقة.

6 - الجهد الصحيح، بالسعي إلى الخير، والهرب من الشر.

7 - الفكـر الصحيح، ويعنـي غلبة الهدوء، وعدم إفساح المجـال للفرح والحزن بأن يأخذا طريقهما إلى الفكر.

8 - التأمّل الصحيح، وهو ثمرة الخضوع للمسالك السبعة، وعندها سينال الهدوء الواقعي.

وهناك قيود تسعة، تحدّث عنها بوذا، وهي:

1 - الاجتناب عن أذى الدوابّ.

2 - الاجتناب عن السرقة.

3 - الاجتناب عن الخيانة.

4 - الاجتناب عن الكذب.

5 - الاجتناب عن المسكرات.

6 - الاجتناب عن الغرور.

7 - الاجتناب عن التفوّه بالكلام البذيء.

8 - الاجتناب عن الجهل.

9 - الاجتناب عن العداء.

الفرق البوذية

انقسمت الديانة البوذية إلى ثلاث فرق:

1 - المهايانا (Mahà-Yàna) وتعني العجلة الكبيرة. وتنتشر هذه الفرقة في الصين، حيث اصطبغت الديانة البوذية بسنن ومعتقدات كونفوشيوس وتاوسيم في الصين، والشنتو في اليابان. ومن طقوسها التي حازت على شهرة عالمية (الدهيانة) وتعني بالسانسكريتية التأمل، وتسمّى في الصين جانغ (Chang)، وفي اليابان زين (Zen).

2 - الهينايانا (Hina-Yana) وتعني العجلة الصغيرة، وتنتشر هذه الفرقة في سريلانكا (سيلان سابقاً) ودول جنوب شرق آسيا. ويطلق أتباع العجلة الصغيرة على ديانتهم اسم ثيرفاده (Theravada)، وتعني ديانة السلف والعظماء، وقد دوّنت كتبهم باللغة الباليّة، وهي لغة هندية قديمة.

3 - الفيجريانا (Vajra-Yana) وتعني عجلة الألماس، وتنتشر هذه الفرقة في التبت، حيث اختلطت الديانة البوذية هناك بالسحر والكهانة والطوطم، وأوجدت لها مؤسّسات دينية مقتدرة. ويطلق على الديانة المذكورة أيضاً اسم اللامائية (Lamaism)، ويعرف زعيمها الديني بـ «**الدالاي لاما**» (Dalai Lama).

يذكـر أنّه حينما يتوفى زعيم هذه الفرقة، يعكـف الرهبان على البحث والتفتيش عـن طفل يكون قد ولد متزامناً مع وفاة الدلاي لاما ليحل محله، ثم يربى هذا الطفل تربية خاصة، وبعد أن يطوي مراحل تعليمية مختلفة، يرتقي منصَّة الزعامة الدينية.

وقـد اضطُرّ الدلاي لاما في هذا العصر إلـى مغادرة التبت بعد زحف الشيوعيين إليها من الصين، والاستقرار في الهند، والمواظبة فيها على العبادة والإرشاد. وعيّن أخيرا ـ وخلافاً للسنة الرائجة ـ طفلاً يخلفه في منصبه، مما أثار حفيظة العديد من الرهبان والكهنة.

الكتب البوذية المقدّسة

ويعـدّ ثري بيتكا ـ وتعني السلال الثلاث ـ من أقدم الكتب المقدّسة عند البوذيين، ويشتمل على ثلاثة أقسام:

1 - قواعد الرهبنة.

2 - منهج الفلاح والصلاح.

3 - المفاهيم الفلسفية والنفسية.

وثمَّة كتب مقدّسة تختص بفرق بوذية مختلفة.

ديانة السيخ

تشعّبـت الديانة البرهمية إلى فروع أخرى، أشهرهـا ديانة السيخ (Sikh) وتعني التلميذ.

لقـد أدّى التقاء الإسـلام بالهندوسية فـي الهند عبر عصور مختلفـة إلى إيجاد مذاهـب مزدوجة. وفي هذا الاطار قام أحد عرفاء المسلمين الكبار، ويدعى «**كبير**» (1440 – 1518 م) بإضفاء صبغة التوحيد الإسلامي على بعض العقائد الهندوسية، والتـف حوله جمـع غفير من الموالين والتلاميذ وأسّس أحـد هؤلاء التلامذة ويدعى

نانـك (Nanak) ديانة السيخ، وهو أوّل غورو (guru) – وتعني المعلم – تولّى زعامة الطائفة السيخية، ثم أعقبه خلفاء تسعة. وازداد نفوذ هذه الطائفة شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت كياناً سياسياً وديناً مقتدراً[1].

سيرة نانك (مؤسّس الديانة السيخية)

هـو الغـورو نانك ولد عـام 1469 م لأسرة تنتمـي إلى طبقـة الاكشتريا، وتقطن إحـدى قرى لاهـور. تتلمذ علـى عرفاء مسلميـن وهندوس، وزار الـدول الاسلامية، وقصـد مكة للحج. وانتهى به المطـاف إلى تأسيس الديانـة السيخية، وبنى تعاليمه علـى أساس أقوال وتعاليم الأولياء والصوفييـن من المسلمين والهندوس. توفي عام 1539م. وقـام بعد الغورو نانك تسعة أشخاص تعاقبوا على تولي زعامة الطائفة بين سنة 1469م وسنة 1708م، وأطلق على كل واحد منهم لقب الغورو.

التعاليم

أطلق نانك اسم (الحقّ) على اللّه تعالى، وكان يقول: إنَّ اللّه مهما أطلق عليه من اسم فهو الحق القادر المتعال فقط، وإنّ السعادة والوصول إلى النيرفانا تكمنان في الاستغـراق فـي ذكر الحق، وآمـن بالمايا أو الوجود الوهمي للعالـم، الذي ورد ذكره فـي الديانة الهندوسية، كما آمن بدوامة التناسـخ والكارما (قانون جزاء الأعمال)، وأباح لأتباعه أكل اللحوم، وحظر الوثنية والرياضات الشاقة وشرب الخمر والتدخين وألغى الفوارق الطبقية وتعدد الزوجات.

ويرتبـط السيخ فيمـا بينهم بعلاقات وثيقـة، ويناضلون من أجـل الانفصال عن الهند، وتأسيس دولة مستقلة، ولهم تبليغات مذهبية، وكُتب في هذا المضمار ترجمت إلى مختلف اللغات.

(1) تأثّر الامبراطور أكبر، وهو أعظم أباطرة المغول في الهند بهذه الديانة عام 1000 هـ، وابتكر ديناً جديداً سمّاه الدين الأكبري، سعى فيه إلى تحقيق الصلح والوئام بين الطوائف والأديان.

الآثار المذهبية

شيّد الغورو أرجان (خامس زعماء الطائفة) معبداً وهيكلاً ضخماً مطلياً بالذهب في مدينة أمريتسار (Amritsar) بالهند، وألّف كتاب «**غرانت صاحب**» – Granth Sahib الذي يعدّ من أهمّ الكتب المقدسة عند السيخ.

التاريخ السياسي للسِّيخ

راجت بين السيخ على عهد الغورو غوبند سنغ (عاشر زعماء الطائفة) مسألة البيعة في القضايا السياسية. وأخذت هذه الطائفة تسلك طريق العنف، بعد أن كانت سلمية في البداية، ومنذ ذلك الوقت أطلقت على نفسها اسم الخالصة (Khagsa)، أي العارية عن التكلف، ورفعت شعارات خمسة، تبدأ كلها بحرف الكاف باللغة البنجابية:

1 - الكيسا: (Kais) إرسال شعر الرأس واللّحى.

2 - الكانكا: (Kangha) حيازة المشط.

3 - الكاشا: (Kachha) ارتداء سروال قصير لا يتجاوز الركبة.

4 - كارا: (Kara) لبس سوار من الفولاذ.

5 - كيَرْبان: (Kirpan) حمل سيف أو خنجر من الفولاذ.

وامتهن السيخ حرفة التجارة، وانتشروا في كافة أرجاء العالم مزاولين حرفتهم.

- تعتبـر الديانة البوذية أحد فروع الديانة الهندوسية، إلّا أنها تجاوزت حدود الهنـد، وزحفت نحو الشرق الأقصـى، واستطاعت أن تجذب أتباعاً كثيرين بمـا تضمّنته من أفكار عرفانية سامية، وأخيراً اتسع نطاقها لتشمل أمريكا وأوروبّا.
- مؤسِّس الديانة البوذية هو بوذا. ولد عام 563 ق.م وتوفي عام 483 ق.م.
- إنّ المبـادىء التي نـادى بها بوذا تعتمـد إلى حد كبير علـى أصول الديانة الهندوسيـة مـن الإعراض عـن الدنيا وتهذيـب النفس والتأمـل والمراقبة والحـث علـى التخلص مـن دوامة هـذه الحياة الدنيـا الشاقـة والالتحاق بالنيرفانا.
- يُعـدّ (ثري بيتكا) مـن أقدم الكتـب المقدسة عند البوذييـن ويشتمل على قواعد الرهبنة ـ منهج الصلاح ـ المفاهيم النفسية والفلسفية.
- السيخيـة: مؤسـس الديانة السيخية هـو نانـك (1469 ـ 1539 م) ولقب بـ «**الغورو نانك**» وأعقبه تسع خلفاء تولوا زعامة الطائفة.
- أطلـق نانك علـى الله تعالى اسـم الحـق، ورأى أن السعـادة والوصول إلى النيرفانـا تكمنـان في الاستغـراق في ذكر الحـق، وآمن بالمايـا والتناسخ والكارما.
- لقـد أدّى التقـاء الإسـلام بالهندوسية فـي الهند عبر عصـور مختلفة إلى ايجاد مذاهب مزدوجة.

أسئلة

1 - ما هي أصول الديانة البوذية؟

2 - اذكر أهم الكتب المقدّسة عند البوذيين.

3 - ما هي الديانة السيخية؟ ومن هو مؤسسها؟

الديانة الجينية

تبدو الهندوسية كشجرة قديمة نشرت أغصانها على أرض واسعة. بعض هذه الأغصان خالف البراهمة الذين كانوا في أوج نفوذهم، وأبدى اعتراضاً على القيود الصعبة المفروضة من قبلهم. ومن جملة تلك الأغصان الهندية، الطائفة الجينية (Jaina) ـ وتعني المنتصر ـ التي شُيّدت أركانها في القرن الخامس قبل الميلاد. يعتقد الجينيون أنّ مهاويرا (Maha–Vira) ـ ويعني البطل العظيم ـ هو مؤسس الديانة الجينية، وهو الزعيم الرابع والعشرون، وقد سبقه 23 زعيماً ظهروا قبل آلاف السنين.

إنّ من أغرب سنن الجينيين حرمة ارتداء الملابس، حيث يعتقدون أنّ مهاويرا كان في حالة مزاولة الرياضة الشاقة ونبذ المتع الدنيوية.

ولما رأى أنّ الحياء يشعره بالإثم، خلع جميع ثيابه، وبقي عارياً طيلة عمره. وقد نشب خلاف بين أتباع هذه الديانة في حدود سنة 79 ق . م حول حدود هذا العراء، وانقسموا إلى طائفتين:

الأولى تسمّى ديجامبرا (Digambra) وتعني أصحاب الزيّ السماوي، أي الذين اتخذوا السماء كساءً لهم (والمقصود بهم العراة).

والثانية تسمّى سفيتامبرا (Svetambara) أي أصحاب الزيّ الأبيض، وهم الذين تأثر بهم غاندي زعيم الهند الذي خلع ثيابه في شبابه، واكتفى بالزيّ الأبيض.

وقد تكهن ويل ديورانت بانتحار غاندي نتيجة تأثّره بالأفكار الجينية (وذلك عند التطرق إلى الديانة الجينية في المجلد الأوّل من كتابه قصة الحضارة)، وكان غاندي على قيد الحياة، إلاّ أنه خرّ صريعاً برصاص هندوسي

متطـرّف، ولـم تتـح الفرصـة لإثبـات صحـة أو سقـم تنبّـؤ هـذا المـؤرّخ الكبير. وتعتبر الذلة والهوان من الفضائل في الديانة الجينية. وتعتقد طائفة الديجامبرا أنه لا سبيـل أمام النساء إلـى الكمال، بل يجب عليهنّ الانتظـار، والتحول إلى رجال في أدوار التناسخ اللاحقة.

الدرس الرابع

الصين واليابان
(الديانة الكونفوشيوسية والشنتو)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتحدّث عن سيرة كونفوشيوس ونشأة الديانة الكونفوشيوسية.

2 - يبيّن التعاليم والأصول الأخلاقية لدى كونفوشيوس والشنتو.

3 - يتحدّث عن المرحلة التي تلت وفاة كونفوشيوس ودور طلابه في نشر أفكاره.

أولاً: الكونفوشيوسية

كونفوشيوس (Confucius): حكيم صيني، سياسي أسّس مذهب الكونفوشيوسية الذي راج في بلاد الصين، ثمّ أفل نجمه بعد مدّة وجيزة. وحلّت محله الديانة البوذية.

سيرة كونفوشيوس

فـي حدود عام 551 ق. م. وفي ولاية لو (Lu) الصينية، ولد لأُسرة كونغ (kung) الحاكمـة في تشو (Tsow) طفل سُمّي كيو (Chiu)، وفـي الثالثة من عمره مات أبوه وتـرك زوجتـه ضحية لفقر مدقع، ومع ذلـك استطاعت هذه الأرملـة أن توفّر لابنها الوحيـد تعليماً طيباً، أثار إعجاب معلّميـه الذين أثنوا على اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء، وتكهّنوا له بمستقبل باهر.

ولمـا بلغ التاسعة عشرة منحـه الوزير الأعظم لتلك الولايـة وظيفة أمين مخازن الحبوب، وكان إلى جانب وظيفته تلك يكرّس جهوده لدراسة الشعر والموسيقى، فذاع صيتـه، وتوافد عليه العلماء طلباً للعلـم والكمال وأطلق عليه الناس اسم كونغ – فو – تشي أي كونغ الفيلسوف، ومن هنا غلب عليه اسم كونفوشيوس.

كانـت حياة كونفوشيوس مليئة بالأحداث، حيث تقلّب في عـدّة مناصب حكومية إلى جانب تربية التلاميذ، وتسلّم الوزارة وهو في الخمسين من عمره ثمّ ترقى وصار وزيـراً أعظم، ما أثار حسـد مناوئيه، الأمر الذي دعاه إلى اعتزال الحياة السياسية، والتنحّي عن كافّة المناصب الحكومية، والاقتصار على التدريس.

وأخيـراً توفي عـام 479 ق.م. وكان مجهولاً إلى حدّ كبير، لكنّـه اشتهر بعد قيام تلامذته وأتباعه بنشر أفكاره.

الآثار

وضـع كونفوشيوس في أواخر عمره عدّة كتب، أصبحـت جزءاً من التراث الأدبي للصين، وهذه الكتب هي:

1 - شو تشنغ (كتاب التاريخ).

2 - شي تشنغ (كتاب الشعر).

3 - لي جي (كتاب الشعائر).

4 - إي تشنغ (كتاب التغيّرات).

5 - جون جيو (تدوين مذكّرات الربيع والخريف).

والكتـب الأربعـة الأولى، هي مختـارات من أقـوال الحكماء الماضيـن، والكتاب الخامس اختصّ بنقل أقواله.

التعاليم

إنّ تعاليـم كونفوشيوس مؤلَّفة من الأصول الأخلاقية والسياسية، مشفوعة ببعض التعاليـم الدينية. وكان يعتقد أنّ السلف نهجوا قاعـدة لي (Li) في مسيرة حياتهم، فأسبغـت عليهم الخيرات والبـركات. التي حرم منها أبناء عصـره على أثر مجانبة هذه القاعدة والعزوف عنها.

إنّ (لي) حسب معتقـدات كونفوشيوس لها معان مختلفة، نظير الطهارة، الأدب، التشريفات، والعبادة. وكان يعتقد أن الخير سيعمّ المجتمع الذي ينتهج هذه القاعدة، ويرتقي به إلى مجتمع مبدئي فاضل.

الأصول الأخلاقية

وقد طرح أصولاً خمسة، متى ما استقامت استقام ما سواها، وهي:

1 - مبادلة الحبّ والحنان بين الأب والابن.

2 - عطف الأخ الأكبر على الأخ الأصغر، وتواضع الأصغر للأخ الأكبر.

3 - إنصاف الزوج في معاملة زوجته، وإطاعة الزوجة لزوجها.

4 - حبّ الأقوياء للضعفاء، وإطاعة الضعفاء للأقوياء.

5 - تفقّد الحكّام للرعيّة، ووفاء الرعيّة للحكام.

ومن تعاليم كونفوشيوس عن المدينة الفاضلة وعلاقة الحاكم بالشعب أنّ الحاكم إذا أطـاع القوانيـن المقـرّرة ونفّذها بحذافيرها، فـإنّ جميع النـاس على اختلاف درجاتهـم ومناصبهـم سوف يقتدون بـه ويمتثلـون القوانين أيضاً. كمـا تحدّث عن الإنسان الكامل وصفاته الخمسة التي استعرضها على النحو التالي: عزة النفس، علوّ الهمّة، إخلاص النيّة، الشوق إلى العمل، السلوك الحسن.

المناسك

علـى الرغم من أنّ كونفوشيوس كان معلم أخـلاق فحسب ولم يدّع غير ذلك، إلاّ أنّ النـاس وجـدوا في تعاليمه الـروح المعنوية، وفي شخصه المثـل الأعلى للالتزام الدينـي. إنّ الديـن الذي نادى بـه كان في غاية البساطة وبعيداً عـن مسائل ما وراء الطبيعة. وقـد انصبّت جهوده على ترويض نفسه وفق العبـادات والمناسك الرائجة فـي عصره. وكان يردّد أن السلـف كانوا سعداء، لأنهم خلّفوا أبنـاءً وأحفاداً واظبوا على إقامة مراسم القرابين والعبادة وعلى تخليد ذكراهم حتى بعد وفاتهم.

الأتباع والخصوم

جـاب تلاميذ كونفوشيوس – الذين بلـغ عددهم كما يقال سبعين تلميذاً – معظم أرجاء الصين، واتصلوا بالحكّام وأصحاب النفوذ الأمر الذي أدّى إلى انتشار تعاليم هـذا الحكيـم، واستمرار بقائها في أوساط جيل واحـد أو جيلين. ثم واجهت مشاكل حـادّة إثر ضعف النظام الإقطاعي الملكي، وظهـور مذاهب فلسفية مناهضة أخذت تشـن حملاتهـا ضدّ أفـكاره وتعاليمه. وفي هـذا الخضم كان النصـر حليفَ تعاليم كونفوشيوسـ أحياناً، وحليفَ خصومه أحياناً أخرى، إلـى أن زحفت الديانة البوذية إلـى الصين، فطـوت بساط هـذا النقاش لحسابهـا، وأصبحت أفـكار كونفوشيوس هامشية، إلّا أنّ شهرة وعظمة صاحبها لم تتضاءلا قطّ.

الدين الرسمي

مجّـد أباطرة الصين وفي عصور مختلفة ذكر كونفوشيوس، واعتبروه من أعاظم الحكمـاء، وراج نحـر القرابين عند ضريحه منذ عهد تلاميـذه ومريديه، إلاّ أن أول إمبراطـور زار ضريحـه ونحـر قرباناً وقدّم هدايا هـو كاو تسو عـام 195 ق. م. ثم أصبحت هذه المراسم سنّة التزم بها سائر الأباطرة الذين تعاقبوا على الحكم بعده.

ومنذ عـام 1911 م أخذ أداء الاحترام الرسمي لروح كونفوشيوس يقلّ بالتدريج، حتـى اضطرّت حكومة الصيـن ـ ولأجل إحياء أفكاره ـ إلى اعتبـاره مفكّراً على غرار نيوتن وباستور إلى أن قامت الثورة الشيوعية في الصين عام 1949 م، فأخذت تشنّ حملـة شعواء على أفـكاره، حيث عدّه الشيوعيون من أقطـاب المدافعين عن الطبقة الأرستقراطية أمام الطبقة الكادحة من عامة الناس.

ثانيًا: ديانة الشنتو (اليابانية)

الشنتو (Shinto): وتعني طريق الآلهة ؛ وهي ديانة اليابان الأثرية، التي تعتقد بأن

إلهـة الشمس التي تعـرف باسم أماتيراسـو (Amaterasu) حارسة لأرض الأجداد، وتجلّى نسلها في الأسرة الحاكمة.

الخلفيات الاجتماعية

زحفـت ديانـة المهايانـا البوذية إلـى اليابان عـام 552 م، وتسـرّب العديد من مظاهرهـا إلى ديانـة الشنتو عقب احتكاكها بها. وتعتبر عبـادة الآلهة والإمبراطور، ونحـر القرابين، وحبّ الوطن من آداب هذه الديانة، كمـا أنّ البوشيدو (Bushido) وتعنـي طريق الفرسـان والمحاربين قد تـمّ استلهامها من ديانـة (زِن)، وهي تؤكّد على الـولاء والفتوة والشرف والتضحية بالذات. وعلى هـذا الأساس فإنّ المحاربين يحملـون معهم خناجـر مخصوصة، ويعمدون فـي حالة اندحارهم فـي الحرب إلى طعن أنفسهم بها وبقر بطونهم، تضحيةً من أجل الوطن، واستشهاداً في سبيله. وقد أُجريـت تعديلات عديدة على هذه الديانـة، وأُلغيت عبادة الإمبراطور بأمر منه عام 1946 م. ولا زالـت هـذه الديانة باقيـة في اليابان إلى اليـوم، وتُمارس طقوسها إلى جانب الديانة البوذية.

كتب الشنتو

ثمّـة كتب تخصّ ديانة الشنتو، تضمّ آداب وسنن الغابرين، وقد أُعدّت في مراحل زمنيـة مختلفة، حيث دُوّن بعضها عـام 806 م، واشتملت على أساطير قديمة تهدف إلـى الدفاع عن رهبان الشنتو، ودُوّن بعضها الآخر في القرن العاشر، وضمّت فهرساً لعبادات ومناسك ورسوم الشنتو، لا سيما آداب عبادة الإمبراطور.

ريجوبو (Rijibu)

حظيـت الديانة البوذية منذ القـرن الثامن الميلادي بانتشـار واسع في اليابان، واكتسبـت عطـف الطبقات الحاكمة، فبـدا أنّ الحاجة ملحة الـى التوفيق بين ديانة

شنتـو القومية القديمة من جهـة، وديانة بوذا الدخيلة الطّارئـة من جهة أخرى. في هـذه الأثناء أعلـن الرهبان البوذيون أنهم اطّلعوا من خـلال مكاشفاتهم على أنّ كل إلهـة من آلهة اليابان القديمة، هي فـي الواقع بوذي ستف، كان قد تجلّى هناك، وأن أماتيراسـو (وتعنـي إلهة الشمس) هي ظهور ساطع لبوذا فـي اليابان. وكانت نتيجة هذا التوفيق، ظهور مذهب ريجوبو (ويعني الشنتو المركّب) الذي تصدّوا للتبليغ له. وبهذه المحاولات تمّ إحياء ديانة الشنتو.

الدين الرسمي

قـام كبار رهبان الشنتو منذ القـرن السابع عشر الميلادي بإحيـاء ديانة الشنتو القديمـة، ورفض التأثير البوذي. وكان عام 1868 م حافـلاً بطروء تحولات جديدة علـى الحياة الاجتماعية في اليابان التي فتحـت أبوابها أمام حركة السياحة لا سيما مـن أمريـكا، ما زاد فـي نشاط حـركات التبشيـر المسيحية. ولم يـدم ذلك طويلاً حتـى أعلن إمبراطور اليابان عـن اعتبار ديانة الشنتو هي الديانـة الرسمية للبلاد، وأمـر بإزالة كافّة مظاهر الديانـة البوذية عن الشنتو، ونُفّذ الأمر في البداية بضغط السلطـات الحاكمة بسبب إقبال الناس المتزايد على الديانة البوذية. ثمّ جاء دستور عـام 1889 م ليمنح المواطنين الحريات الدينية المطلقة، إلاّ أن الدولة كانت تنحاز إلى جانب ديانة الشنتو.

واستمـرّ الديـن الرسمـي للدولة (الشنتو) حتـى عام 1945 م، وهـو العام الذي رزحت فيه اليابان تحت نير الاحتلال، بعد تعرّضها لقصف نووي أمريكي، وهزيمتها في الحرب. وبقيت تعاليم الشنتو تنمّي الروح القومية للشباب بغية التصدي لمظاهر النفوذ الغربي. وبعد عام 1945 م أصبح إجراء طقوس الشنتو أمراً اختيارياً.

- تنسب الكونفوشيوسية إلى مؤسّسها كونفوشيوس وهو حكيم صيني، ولد عام 551 ق.م في ولاية لو وتوفّي عام 479 ق.م، وكان مغمور الذِكر إلاّ أنه اشتهر بعد قيام أتباعه بنشر أفكاره.
- وضع كونفوشيوس في أواخر عمره عدّة كتب، أصبحت جزءاً من التراث الأدبي للصين.
- من أهمّ آثار كونفوشيوس شو تشنغ- شي تشنغ- لي جي- اي تشنغ- جون جيو. وتتألف تعاليمه من الأصول الأخلاقية والسياسية مشفوعة ببعض التعاليم الدينية.
- إنّ الدين الذي نادى به كان في غاية البساطة وبعيداً عن مسائل ما وراء الطبيعة، وقد انصبّت جهوده على ترويض نفسه وفق العبادات والمناسك الرائجة في عصره.
- من تعاليم كونفوشيوس أن الحاكم إذا أطاع القوانين المقرّرة ونفّذها بحذافيرها، فإنّ جميع الناس على اختلاف درجاتهم ومناصبهم سوف يقتدون به ويمتثلون القوانين أيضاً.
- تحدّث كونفوشيوس عن الإنسان الكامل وصفاته الخمسة التي استعرضها على النحو التالي: عزة النفس، علوّ الهمّة، إخلاص النيّة، الشوق إلى العمل، السلوك الحسن.
- جاب تلاميذ كونفوشيوس – الذين بلغ عددهم كما يقال سبعين تلميذاً – معظم أرجاء الصين، واتصلوا بالحكّام وأصحاب النفوذ الأمر الذي أدّى إلى انتشار تعاليم هذا الحكيم.

- استمرّت أفكار كونفوشيوس جيلًا واحدًا أو جيلين، ثم واجهت مشاكل حادّة إثر ضعف النظام الإقطاعي الملكي، وظهور مذاهب فلسفية مناهضة أخذت تشن حملاتها ضدّ أفكاره وتعاليمه. إلى أن زحفت الديانة البوذية إلى الصين، فطوت بساط هذا النقاش لحسابها، وأصبحت أفكار كونفوشيوس هامشية، إلاّ أنّ شهرة وعظمة صاحبها لم تتضاءلا قطّ.
- الشنتو (Shinto): وتعني طريق الآلهة؛ وهي ديانة اليابان الأثرية، التي تعتقد بأن إلهة الشمس التي تعرف باسم أماتيراسو (Amaterasu) حارسة لأرض الأجداد، وتجلّى نسلها في الأسرة الحاكمة.
- قام كبار رهبان الشنتو منذ القرن السابع عشر الميلادي بإحياء ديانة الشنتو القديمة، ورفض التأثير البوذي. ولم يدم ذلك طويلاً حتى أعلن إمبراطور اليابان عن اعتبار ديانة الشنتو هي الديانة الرسمية للبلاد.

أسئلة

1 - ما هي الديانة الكونفوشيوسية؟ ومن هو مؤسّسها؟

2 - اذكر أُصول الديانة الكونفوشيوسية.

3 - ما هو حال الكونفوشيوسية في العصر الحالي في الصين؟

الطاوية

ينسب مذهب الطاوية (Taoism) إلى الحكيم الصيني لاو تسي (Lao – tse) (المتوفّى 517 ق. م.) . وقد دار جدال و نقاش حول حقيقة هذه الشخصية، وهل كانت واقعاً قائماً أم مجرّد أسطورة.

وعلى أي حال، فيظهر من القصص القديمة أنّه ولد عام 604 ق. م، وتولّى منصب خازن في بلاط الامبراطور، إلاّ أنّه سرعان ما اعتزل كل شيء، وتخلّى عن جميع اهتماماته الاجتماعية والعلمية، وانزوى في داره، منصرفاً إلى الصمت والتأمل وإلى تصفية روحه.

وقد انتاب الناس شوق إلى معرفته، فاختلفوا إليه للاطلاع على أفكاره. وقيل إنّ كونفوشيوس كان ممّن زاره، وأخيراً قرّر مبارحة موطنه، لما أصابه من كلل وملل من الزيارات المتتابعة، فصادف عند بوابة المدينة أحد الحرّاس، فطلب منه أن يعلّمه شيئاً، فدوّن له لاو تسي رسالة، أطلق عليها تاو تي تشنغ، أي رسالة الطاوية، وهي لا تزال موجودة، وتتميّز باشتمالها على كلمات قصار، يحمل بعضها معنىً مبهماً، ثم سلّمها إليه، وتابع السير في رحلته، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره. وقيل إنّه توفي عام 517 ق. م.

الدرس الخامس

إيران القديمة
(الديانة الزرادشتية)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتعرّف إلى سيرة زرادشت.

2 - يذكر تعاليم زرادشت.

3 - يتعرّف إلى ظروف هجرة الزرادشتيين من إيران.

مقدّمة

أخـذ الآريون – بعد عدّة قرون من استقرارهم فـي إيران – بالاستيطان تدريجياً في المدن، الأمر الذي ترك تأثيره على رؤيتهم الكونية.

وفـي تلك العصـور، نهض مصلح اسمـه زرادشت، دعـى الآريين الذيـن سئموا الخرافـات، إلـى دين جديـد، ونبذ دين مغان. وزعـم أنه مبعوث من قبـل إله الخير والنـور، وأنه استمد رسالته من آهورا مازدا (Ahura Mazda) مباشرة لينقذ العالم من الظلام والشر، ويسوقه إلى الخير والنور.

ويطلـق على الزرادشتييـن أسماء أخرى مثـل غبر، مجوس، پارسـ. وتعني كلمة «**غبـر**» في اللغـة السريانية الكافر، وهـذه التسمية أطلقها عليهـم الآخرون. كما أنّ اصطلاح (المجوس) في اللغة العربية اسم جنس جمعي، ومفرده مجوسي.

وقـد جاءت كلمة المجوس في القـرآن الكريم[1] إلى جانب أتبـاع بقية الديانات. ويعتقـد أغلب علماء الإسلام أنّ الزرادشتيين هم أهل كتاب، ووردت في هذا الصدد أخبار أيضاً.

سُئـل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: «**نعم أما بلغك كتاب**

(1) سورة الحج، الآية:17.

رسول الله ﷺ إلى أهل مكة أن أسلموا وإلا نابذتكم بحرب فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أن خذ منّا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبي ﷺ: إنّي لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فكتبوا إليه. يريدون بذلك تكذيبه.: زعمت أنّك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثمّ أخذت الجزية من مجوس هجر، فكتب إليهم النبي ﷺ: إنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور»[1].

وقد طرأت تحوّلات وتغييرات على ديانة زرادشت نحو قرن واحد قبل الميلاد، وسُمّيت بعد التعديل ديانة مزديسنا، وتعني في اللغة مدح مزدا.

سيرة زرادشت

ساورت العلماء شكوك حول الوجود التأريخي لنبي إيران القديمة، وإن اتفق أغلبهم على استبعاد نفي وجوده. إنّ كلمات من قبيل: «**زردشت**»، «**زرتشت**»، «**زردهشت**»، قد اشتق معظمها من مصطلح «**زر ثوشتر**» (Zarathushtra) الذي ورد ذكره في «**الغاثا**» (وهو جزء من الكتاب السماوي لزرادشت)، والذي يساوي طبقاً لأصح النظريات «**زرد اشتر**»، وتعني صاحب الناقة الصفراء.

أما اسم والده، فهو بوروشَسب (أي صاحب الجواد الهرم)، واسم والدته دغدوية، ويعني (حالبة البقرة)، من قبيلة سبتياما، ويعني (العِرق الأبيض).

والمشهور أنه من أذربيجان في إيران، وأنه بُعث عند جبل بالقرب من بحيرة أورومية[2].

واختلفت وجهات النظر حول زمان زرادشت، حتى قيل إنه ظهر سنة 6000 ق.م، ولكن وفقاً للنظرية المشهورة، فإنه ولد سنة 660 ق.م، وبُعث سنة 630 ق.م وهو في سنّ الثلاثين.

(1) الكافي: ج3، ص567، الحديث 4.

(2) ذهبت الكتب الدينية للزرادشتيين إلى قدسية مياه هذه البحيرة.

وقيل إنه قُتل سنة 583 ق.م وهو في سنّ 77 في بيت النار في مدينة بلخ بأفغانستان، إثر مداهمة المدينة من قبل الغزاة.

وعلى الرغم من أنّ بعثة زرادشت ورد ذكرها في شاهنامة الفردوسي، إلاّ أنها أُدرجت في قسم الأساطير من الكتاب المذكور، نظراً إلى تضارب الآراء حول شخصية «**غُشْتاسب**» (الملك الذي دعاه زرادشت إلى دينه الجديد)، حيث يعتقد البعض أنه هو فيشتاسب والد داريوش الأخميني، في حين ثبت تاريخياً أنه كان والياً، ولم يكن ملكاً.

كتاب الزرادشتيين

يُسمّى الكتاب السماوي للزرادشتيين «**أفستا**»، ويعني الأساس واللبنة والمتن، وقد كتب باللغة الأفستائية التي كانت سائدة في إيران القديمة، والتي تتّحد في أصولها مع اللّغة الفهلوية والسانسكريتية. ويعتقد العديد من المحققين أنّ الخطّ الأفستائي قد ظهر في العهد الساساني (226 - 641 م). وكان أفستا في بداية الأمر محفوظاً في الصدور، ثم كُتب بالخطّ المذكور. وقيل إنه أُنجز بعد ظهور الإسلام. ومهما يكن من أمر، فإنّ أغلب الباحثين متفقون على أن أصل أفستا كان ضخماً للغاية، حتى قيل إنه نسخ على 12000 جلد من جلود البقر، أما الأفستا الموجود اليوم، فهو يضم 83000 كلمة، ويحتمل أن أصله كان يضمّ 345700 كلمة (أي أربعة أضعاف).

تعاليم زرادشت

ثمّة أصول ثلاثة نادت بها ديانة زرادشت، هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن، ونحن نجد نظائر هذه الأصول في الأديان المختلفة كالإسلام، حيث ورد فيه «**الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان**»[1].

(1) بحار الأنوار، ج66، ص68.

ومـن أبرز مظاهر ديانة زرادشت، احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النـور، والإبقاء على شعلـة النار مضطرمة، وإقامة مراسـم خاصة حولها في معابد تُعرف ببيوت النار. وحثّت الزرادشتية أيضاً على العمران والزراعة والرعي واستيطان المـدن، واحتـرام الحيوانات لا سيما الكلـب والبقرة. كما يتمتع حسـن المعاملة مع الناس بمكانة مرموقة في هذه الديانة. وقد ارتبطت بعض العادات والرسوم الرائجة فـي إيران بتعاليم زرادشت، وظهرت عند بعض الزنادقة في القرون الأولى للإسلام نزعات زرادشتية.

الآلهة

يُعلـم مـن خـلال مطالعـة ديانة زرادشـت، أنّه قـام بإصـلاح ديني فـي أوساط الإيرانيين، بغية نبذ الخرافات التي ألمّت بالديانة القديمة للآريين. وكان في طليعة ذلـك التبليـغ لـ «**آهورا مـازدا**»، وتزييـف آلهة قومه التـي كانت تُسمّـى ديفا (ويعني الشيطان)، وإطلاق اسم آلهة «**دروغ دوستان**» عليها.

يبلغ عمر الدورة الحالية للعالم – وفقاً لما ورد في ديانة زرادشت – 12000 سنة، حكـم فيهـا إله الخيـر طيلة 3000 سنة، ظـلّ خلالها إله الشر متوارياً في الظلام، وعقب انتهاء الفترة المذكورة خرج إله الشر من الظلام، واصطدم بإله الخير الذي استمهلـه 9000 سنـة، وهو على يقين بأن النصر سيكـون حليفه في نهاية المطاف. وإبّـان هـذه الفترة أخـذ أحدهما يتحدّى الآخـر من خلال خلق الخيـر والشر، وبعد 3000 سنة خُلق زرادشت، ومن ذلك الوقت بدأ ميزان القوى يميل لصالح إله الخير وجنوده، واستمرّ في سيره الصعودي.

آخر الزمان

ورد فـي الألفيـات الزرادشتيـة (Zoroastrean Millennialism) أنّه يُنتظر ظهور ثلاثة منقذين من نسل زرادشت يملؤون الدنيا خيراً وعدلاً، وهم:

1 - هوشيدر، 1000 سنة بعد زرادشت.

2 - هوشيدر ماه، 2000 سنة بعد زرادشت.

3 - سوشيانس (أو سوشيانت)، 3000 سنة بعد زرادشت، وبظهوره يصل العالم إلى نهايته.

خلود الروح

يعتقد الزرادشتيون بخلود الروح، وبقائها ـ عند مفارقتها الجسم ـ وبعالم الآخرة، والجنــة والعذاب. إن جنة ديانــة زرادشت تشبه الجنة التي جاء وصفها في الإسلام، ولكـنّ اعتقادهم بقدسية النار دفعهم إلى القــول بأن مأوى العاصين مكان بارد جدّاً وقذر ومليء بأنواع الدوابّ التي تنزل نقمتها بهم وتؤذيهم.

مغادرة الزردشتيون إيران

لمّــا أقبــل الإيرانيــون على اعتنــاق الإسلام وأســدوا خدمات كبرى لهــذا الدين[1] أدّت فيمــا بعد إلــى انتشار الإسلام وقوّته فــي إيران. واستناداً إلــى حكاية «**سنجان**» التــي وضعها «**بهرام بن كيقباد**» سنة 1600م، فــإن زرادشتيي إيران – كما ذكر بعض المؤرّخيــن– قد تعرّضوا لمضايقات طيلة 100 سنة ما دعاهم إلى الهجرة إلى بومباي بالهند عبر البحر بناءً على توصيات المنجمّين. إلا أن هذا الرأي لم يجد أذناً صاغية لدى المؤرِّخين الذين اعتقدوا بأن هذه الهجرة شرعت قبل الإسلام ودامت بعده بقليل.

ومهما يكن من أمر فقد غادر الزرادشتيون قبل ألف عام بلاد إيران، وتوجّهوا إلى بومبــاي. ويبلغ عددهم فيها اليوم 150 ألف نسمة، ويُعرفون بالفارسيين، كما يقطن نحــو 50 ألف من الزرادشتييــن في يزد وكرمان وطهران، وعُرفــوا بالثقافة وبحسن تعاملهم مع الآخرين.

(1) يراجع مطهري: الإسلام وإيران.

- أخـذ الآريون بعد عدّة قرون من استقرارهم في إيران بالاستيطان تدريجياً في المدن، الأمر الذي ترك تأثيره على رؤيتهم الكونية.
- زرادشـت مصلح، دعى الآريـين الذين سئموا الخرافـات، إلى دين جديد، ونبذ دين مغان. وزعم أنه مبعوث من قبل إله الخير والنور لينقذ العالم من الظلام.
- ولد زرادشت سنة 660 ق.م وهو من أذربيجان في ايران وقتل سنة 583 ق.م في معبد النار في بلخ.
- يطلق على الزرادشتيين أسماء أخرى مثل غبر، مجوس، پارس. وتعني كلمة غبـر في اللغـة السريانية الكافر، وهـذه التسمية أطلقهـا عليهم الآخرون. كمـا أنّ اصطلاح (المجوس) في اللغة العربيـة اسم جنس جمعي، ومفرده مجوسي.
- ثمّـة أصول ثلاثة نادت بها الزرادشتية هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسـن، ومن أبرز مظاهرها احترام النار والإبقاء على شعلة النار مضطرمة وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف بمعابد النار.
- غـادر الزرادشتيون قبـل ألف عام بلاد إيران، وتوجّهـوا إلى بومباي، ويبلغ عددهم فيها اليوم 150 ألف نسمة.

أسئلة

1 - ما هي أُصول الديانة الزرادشتية؟

2 - تكلّم عن عقيدة الزرادشتية في خلود الروح.

3 - متى ولماذا هاجر الزرادشتيون من إيران؟

مطالعة

مغان والمانوية

إنّ أقدم ديانة لسكان إيران الأصليين غير الآريين هي ديانة مغان الّتي ظهرت قبل زرادشت وقبل حكم الماد، وتعني كلمة مغ (مغوش) في لغة إيران القديمة الخادم. ويبدو أن المغان هم أول من قطن إيران، ثمّ تعايشوا مع الآريين بعد زحفهم إليها، نظير ما حدث للدرافيديين في الهند. إن اصطلاح المجوس الذي يُطلق في العربية على الزرادشتيين مشتقّ من الكلمة المذكورة (مغوش).

ويعتقد بعض الباحثين أنّ الثنوية التي طرأت على ديانة زرادشت (أي الإيمان بإله الخير وإله الشر) قد تسرّبت إليها من ديانة مغان القديمة، لأن كتاب الغاثا، وهو أقدم أجزاء الأفستا والذي اتسم بطابع إيراني، لم يُعثر فيه على أي أثر للثنوية المذكورة، ولكن يظهر من الكتب التاريخية أنّ ديانة مغان القديمة اتسمت بالثنوية، وآمنت بالبعث أيضاً.

وظهرت الديانة المانوية في إيران في الفترة الممتدة بين ظهور المسيحية والإسلام، واستطاعت في مدة وجيزة أن تنتشر وأن تكتسب أنصاراً مخلصين ومتحمّسين، وهي في الواقع مزيج من معتقدات الصابئة والبوذية والزرادشتية والمسيحية، وازدادت رقعة انتشارها ـ بسبب أصولها العرفانية والإنسانية ـ لتبلغ سواحل الصين شرقاً، وتخوم أوروبا غرباً.

وقد ناصب حكّام إيران والروم العداء للمانويين، ومارسوا بحقّهم عمليات قتل جماعية، حتى أنّ محكمة التفتيش في أوروبا قامت في القرن الثالث عشر الميلادي بحملات نشطة من أجل القضاء على ما تبقّى منهم.

الدرس السادس

اليهودية – 1 –
(نسب اليهود ورسلهم)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يبيّن نسب اليهود.

2 - يتعرّف إلى شخصية إبراهيم وموسى من خلال التوراة.

3 - يتعرّف إلى الألواح والوصايا العشر.

نسب اليهود

ينحـدر اليهود من العِـرق السامِي الذي ينتسب إليـه الآشوريون والعرب. وإن لغة وآداب وثقافة وعادات ورسوم هذه الأقوام متقاربة بنحو دفع بالباحثين إلى الاعتقاد بأنّهـم ينحدرون إلى أصل واحد، ولذا فإنّ البحث عن ثقافة كل قوم يستدعي البحث عن ثقافة سائر الأقوام السامية.

ولا تتوفّـر بين أيدينـا معلومات دقيقة عن الجـذور التاريخيـة للعبرانيين. ويرى بعض الباحثين أنّ كلمة «**عبراني**» أطلقها الكنعانيون على النبيّ إبراهيم عليه السلام بعد دخوله أرض كنعـان[1]، ثم أصبحت من ألقابه، وسرى ذلك في أعقابه؛ لأن العبراني من مادة (ع - ب - ر) وتعني عبور النهر، باعتبار أن النبيّ إبراهيم عليه السلام عبر نهر الفرات في طريقه إلى أرض كنعان. ويرى بعض آخر من الباحثين أنّ عبراني منسوب إلـى عابر[2]، وهو اسـم جدّ من أجداده الأقدمين. ويقول آخـرون إنّ إبراهيم ينحدر مـن عرق آري، انطلاقـاً من كون اسم أبيه أو عمّـه «آزر»، إلاّ أنّ الباحثين يستبعدون هـذه النظرية، لعدم توفّر معلومات عن المعنى اللغوي لكلمة «آزر» في القرآن الكريم

(1) التكوين: 13 ـ 14.

(2) ورد اسم عابر في سفر التكوين: 24/10 و 16/11.

والمصـادر الإسلامية. جدير بالذكـر أنّ اسم والد النبيّ إبراهيم عليه السلام في التوراة هو «تارَح».

أمـا كلمـة اليهوديـة فنسبة إلى الإلـه (yhwa- الـرب)، وهو اسم الإلـه القومي لإسرائيـل، إله الآباء الأوائـل إبراهيم وبنيه، الذي عقد معـه إبراهيم أولًا وبنوه من بعـده الميثـاق، ثم عرف بهذا الاسـم أحد الأسبـاط الاثني عشر، التـي تكوِّن شعب إسرائيـل، وهـم أبناء يعقـوب من زوجته (ليئـة) والذين سكنـوا المنطقة المحيطة بأورشليم (القدس) وسميت فيما بعد مملكة يهوذا باسمه.

إبراهيم عليه السلام

بلـغ إبراهيم الخليل عليه السلام مكانة سامية حتى لـدى المشركين، الذين دأبوا على زيـارة وتقديس كل ما يمتّ بصلـة إلى النبيّ إبراهيم في مكّـة المكرّمة. وقد ذكرت التوراة نسب إبراهيم عليه السلام، وأنهته إلى آدم عليه السلام.

وحسب وجهة نظر أهل الكتاب، فإن إبراهيم ولد في مدينة أُور[1] عام 2000 ق.م. (أي قبل أكثر من 4000 عام)، وقد أطلق عليه في البداية، ووفقاً لما جاء في التوراة، اسم أبرام (ويعني الأب السامي) ثم بدّله الله سبحانه إلى اسم إبراهيم (ويعني أبا الأقوام) وهو في التاسعة والتسعين من عمره.

وطبقـاً للتـوراة، فقد عزم والد النبـيّ إبراهيم وهو «تارح» علـى السفر إلى أرض كنعـان (في غرب فلسطيـن)، واصطحب معه ولـده النبيّ إبراهيـم عليه السلام، وسارة زوجة إبراهيم، وحفيده لوطاً عليه السلام، وفي أثناء الطريق عدل عن رأيه، وحطّ الرحال في مدينة حرّان الواقعة في جنوب تركيا الحالية، والمتاخمة للحدود السورية.

(1) مدينـة أور: إحـدى المـدن الأثريـة القديمـة الواقعة على ضفاف نهـر الفرات عثر عليها عقـب عمليات الحفر والتنقيب التي أجريت في العراق قبل زهاء قرن.

وقد ورد في التوراة أنّ النبيّ إبراهيم عليه السلام غادر حرّان بأمر الله تعالى، وله من العمر (75) سنة، قاصداً أرض كنعان، وبمعيّته زوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام ورهط من أهل حرّان، فلما وصلها نصب خيامه على سفح جبل يقع في شرق بيت ايل، ثم نزل مدينة حَبْرون (الخليل).

ومكث فيها إلى آخر عمره ولا زالت مقبرة أسرته موجودة إلى الآن في تلك المدينة. أما لوط عليه السلام، فقد رحل إلى مدينة سَدوم، وقام بالدعوة فيها وفي المدن المجاورة لها، فكذّبه الناس وعصوْه، فأنذرهم عذاب الله فلم يكترثوا، فهلكوا عن بكرة أبيهم، وقد جاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم أيضاً[1].

وورد في التوراة أيضًا أنّ الله سبحانه كان قد وعد إبراهيم عليه السلام بالبركة في نسله مراراً، وقد رُزق من جاريته هاجر ولداً اسمه إسماعيل (ويعني يسمع الله)، وبعد مضي 14 عاماً رُزق من زوجته سارة ولداً اسمه إسحاق (ويعني يضحك).

وقد أوجزت التوراة الكلام في هذه الواقعة، واكتفت بالإشارة إلى أن إسماعيل عليه السلام سكن فاران، وأن أمه اختارت له زوجة من مصر، وأعرضت عن الخوض في تفاصيل حياته، حتى أنها لم تنبس ببنت شفة عن بناء الكعبة.

وطبقاً لما جاء في الروايات الإسلامية فإن العثور على الماء لأجل إسماعيل، إنّما كان في مكة المكرمة، وتُعرف البئر اليوم ببئر زمزم، في حين تقول التوراة إن ذلك كان في مكان يُدعى بئر شِبَع.

كذلك ذكرت في التوراة قصة ذبح ولده، وفيها أن النبيّ إبراهيم عليه السلام أمر بأن يذبح إسحاق عليه السلام دون أن يبوح له بذلك، بل قال له: أُمرت بذبح شاة كقربان يرسله لي ربّي.

(1) أنظر: سورة الحجر، الآيات: 57 - 75. والشعراء، الآيات: 160-174، والقمر، الآيات: 160-174.

يعقوب عليه السلام (إسرائيل)

وجاء في التوراة أيضاً أنّ إسحاق عليه السلام ورث إبراهيم عليه السلام وأنه رُزق توأمين، سمّى أحدهما عيسو (ويعني لغةً كثيف الشعر)، وسمّى الآخر يعقوب (ويعني يتعقب) لأن ولادته أعقبت ولادة شقيقه التوأم.

كان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً، ولُقّب بإسرائيل. هذا الاسم المركّب فسّره أهل الكتاب بمن نال الظفر على الله، وأصل المعنى في العبرية هو من انتصر على خصمه الشجاع. وقد ورد في التوراة أن يعقوب صارع الله سبحانه فغلبه، فأُطلق عليه إسرائيل[1]، ولكنّ أهل الكتاب ذكروا منذ القدم، أن المقصود من الله في القصة المذكورة، هو أحد ملائكته[2].

موسى عليه السلام

نطالع في الإصحاح الثاني من سفر الخروج من التوراة:

«ومضى رجل من آل لاوي[3]، فتزوّج بابنة لاوي، فحملت المرأة وولدت ابناً، ولما رأت أنه جميل، أخفته ثلاثة أشهر، ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أخذت له سلّة من البردي وطَلَتْها بالحُصَر والزّفت، وجعلت الولد فيها ووضعتها بين القصب على حافة النهر، ووقفَت أخته من بعيد لتعلم ما يحدث له، فنزلت ابنة فرعون إلى النيل لتغتسل، وكانت وصائفها يتمشّين على شاطىء النيل، فرأت السلة بين القصب، فأرسلت خادمتها فأخذتها وفتحتها، ورأت الولد فإذا هو صبي يبكي، فأشفقت عليه، وقالت: هذا من أولاد العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب وأدعو لك مرضعاً من العبرانيات ترضع لك الولد؟ فقالت لها

(1) راجع: سفر التكوين: 32/24 ـ 32.

(2) راجع سِفْر هوشع: 12/3 ـ 4.

(3) اسمه في الأخبار الإسلامية عمران، وفي التوراة عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب (سِفر الخروج: 6 / 14 ـ 20).

ابنة فرعون: اذهبي، فذهبت الفتاة ودعت أم الولد، فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد فأرضعيه لي، وأنا أُعطيك أُجرتك، فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد، جاءت به ابنة فرعون فأصبح لها ابناً، وسمّته موسى، وقالت: لأني انتشلته من الماء».

هذه الحادثة تشبه إلى حدّ كبير ما جاء في سورة القصص من القرآن الكريم، وطبقاً للحسابات التاريخية، فإنها وقعت في حدود عام1250– 1300 ق.م.

بعثة موسى

نطالع في الإصحاح الثالث من سِفْر الخروج أنه تراءى لموسى على جبل حوريب في صحراء سيناء ملاك الرب في لهيب نار من وسط عُلّيقة وتكلّم معه. وورد في القرآن الكريم أن أول كلام لله سبحانه مع موسى عليه السلام، كان من شجرة في وادي طوى:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

وطبقاً لما جاء في التوراة، فإنّ الله تعالى وعد موسى أن يفكّ أسر بني إسرائيل من أيدي المصريين، وأن يهبهم أرض كنعان المباركة، وانطلاقاً من ذلك فقد تلقّى أمراً بالذهاب إلى فرعون، ويطلب منه أن يترك بني إسرائيل وشأنهم، وتقرّر أن يؤازره هارون في هذه المهمة.

(1) سورة القصص، الآيتان: 29 و30.

معجزات موسى

ورد في التوراة أن الله سبحانه زوّد موسى عليه السلام بمعجزة تبديل عصاه إلى ثعبان، وظهور نور ساطع من يده، فجمع فرعون السحرة لأجل منازلة موسى عليه السلام، فابتلع الثعبان جميع أدوات سحرهم، فأدرك السحرة آنذاك أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من السحر في شيء.

وورد في القرآن المجيد أنّهم آمنوا بموسى عليه السلام غير هيّابين ولا وجلين من فرعون. ثم أنزل الله عقب هذه المعجزات صوراً من العذاب على المصريين. وقد أشارت التوراة إلى عشرة أنواع من العذاب:

1 - تبديل مياه المصريين إلى دم.

2 - ازدياد عدد الضفادع.

3 - ازدياد البراغيث.

4 - ازدياد الذباب.

5 - موت دواب المصريين إثر تفشي الوباء.

6 - إصابة المصريين ودوابّهم بالدُّمّل.

7 - إصابتهم بالبَرَد، وتلف المزارع والحيوانات.

8 - ازدياد الجراد.

9 - حلول الظلام في مساكنهم لمدّة ثلاثة أيام.

10 - هلاك المواليد الأبكار لأهل مصر قاطبة ودوابهم.

وسرد القرآن الكريم تسع معجزات للنبيّ موسى[1] والظاهر أنّ المقصود منها هي المعجزات التي جاء بها لفرعون، وإلا فصريح القرآن الكريم والتوراة أن معجزاته فاقت هذا العدد.

(1) سورة الإسراء، الآية: 101.

العبور من البحر

بناءً على ما ورد في التوراة، فإنّ فرعون قد رضخ في النهاية للأمر الواقع، فأرسل إلى موسى وهارون ليلاً، وأذن لهم بالخروج ببني إسرائيل. فخرج بنو إسرائيل إلى جهة البحر الأحمر شرقي مصر ونصبوا هناك خيامهم، إلاّ أنّ فرعون سرعان ما نَدِم، فأتبعهم بجنوده، فلحق بهم وقد بلغوا شاطىء البحر، فلما رأى قوم موسى فرعون وجنوده من بعيد، رفع موسى يده إلى البحر، فانفلق، فتجاوزه بنو إسرائيل إلى الشاطئ الثاني، فلما تبعهم جنود فرعون في البحر، أشار موسى عليه السلام بيده بأمر من الله سبحانه، فَغرقوا جميعاً. أما غرق فرعون نفسه، فلم تُفصح عنه التوراة.

الألواح والوصايا العشر

لمّا مرّت ثلاثة أشهر على خروج بني إسرائيل من مصر، عُهد إلى موسى عليه السلام أن يتكلم مع الله سبحانه في وادي طور سيناء. وهناك تلقّى لَوْحين نُقشت فيهما وصايا الله سبحانه. وقد عبّر عنها القرآن بصيغة الجمع، الألواح[1]. وتبرز من بينها عشر وصايا مهمة للغاية واشتهرت باسم الوصايا العشر، وهي:

1 - الربّ إلهك، فلا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

2 - لا تسجد للأوثان.

3 - لا تنطق باسم الربّ باطلاً.

4 - أذكر يوم السبت لِتُقدِّسه.

5 - أكرم أباك وأمّك.

6 - لا تقتل.

7 - لا تزنِ.

(1) طور بالسريانية تعني «الجبل».

8 - لا تسرق.

9 - لا تشهد على قريبك شهادة زور.

10 - لا تشتهِ أموال قريبك وعرضه.

وقد وردت تفصيلات هذه الأحكام في الاصحاح (21) من سفر الخروج.

عبادة العِجل

تقـول التوراة إنه لما أبطـأ موسى في عودته من طور سينـاء، قصد بنو إسرائيل هـارون، وطلبوا منـه أن يقيم لهـم إلها يعبدونه، وأتـوّا إليه بمـا يملكونه من ذهب، فصنع منه عجلاً مسبوكاً، ورغّبهم إلى عبادته.

أطلَـعَ اللّه سبحانـه موسى على هـذا الأمر، وأراد إهلاكهـم، إلاّ أنه صرف عنهم العذاب إثر شفاعة موسى عليه السلام.

أخـذ موسى اللّوحيْن ورجع إلى بنـي إسرائيل، فلمّا رأى أعمالهم القبيحة، ضرب باللّوْحين الأرض، وقبّح فعل أخيه، وأحرق العجل وألقى برماده في الماء، وشرّبه بني إسرائيل، ثمّ أمرهم بأن يسلّوا سيوفهم وأن يقتل بعضهم بعضاً لمّدة نصف يوم.

القـرآن الكريـم أورد هـذه القصّـة وفي مواضـع مختلفـة منه، (وفـق الصورة المذكـورة)، إلاّ أنـه نزّه الساحـة المقدسة لهـارون عليه السلام عن ارتـكاب هذا العمل القبيـح[1]، وعزا صنـع العجل إلى شخصـ يُعرف بالسامريّ (وهـو شخص من بني إسرائيل يدعى شمرون بن يشاكر بن يعقوب، و يُطلق على عشيرته لقب الشمروني[2]، وتُلفظ الشمروني في اللغة العربية بالسامري).

(1) سورة طه، الآية: 90.

(2) التكوين: 13؛ الأعداد: 24.

وصرّحت التوراة بأن الله سبحانه أمر موسى عليه السلام أن ينحتَ لوحين آخرين، لكي يكتب فيهما وصاياه، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك أيضاً[1].

وفاة موسى عليه السلام

وعلى أية حال، فقد نظم موسى أمور قومه، وأعدّهم لقتال الكافرين، وعلّمهم أحكام الله، وبارك فيهم، ثم توفّي في مكان يُعرف بـ «موآب» بالقرب من البحر الميّت، بعد أن بلغ مائة وعشرين عاماً، وأقام بنو إسرائيل الحداد عليه لمدّة ثلاثين يوماً. هذه الوقائع نقلت في آخر سفر التثنية، وبها خُتمت التوراة:

«... فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب ودفنه[2] في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فعور ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم يكلّ بصره ولم تذهب نضرته فبكى بنو إسرائيل على موسى في برِّيَّة موآب ثلاثين يوماً إلى أن انقضت أيام الحزن على موسى أما يشوع بن نون فمليء روح حكمة، لأن موسى وضع عليه يديه فأطاعه بنو إسرائيل وعملوا كما أمر الربّ موسى ولم يقم من بعد في إسرائيل نبي كموسى الذي عرفه الربّ وجهاً لوجه في جميع الآيات والخوارق التي أرسله الربّ ليصنعها في أرض مصر بفرعون وجميع رجاله وكل أرضه وفي كل يد قوية وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون إسرائيل كله»[3].

(1) سورة الأعراف، الآية: 154.
(2) لم يُعلم اسم الدافن وقيل هو الرب.
(3) التثنية: 34/5 ـ 12.

- ينحدر اليهود من العِرق السامِي الذي ينتسب إليه الآشوريون والعرب.
- لا تتوفّر بين أيدينا معلومات دقيقة عن الجذور التاريخية للعبرانيين.
- كلمة اليهودية نسبة إلى الإله (yhwa– الرب)، وهو اسم الإله القومي لإسرائيل، إله الآباء الأوائل إبراهيم وبنيه.
- طبقاً للتوراة، فقد عزم والد إبراهيم وهو تارح على السفر إلى أرض كنعان (في غرب فلسطين)، واصطحب معه ولده إبراهيم عليه السلام، وسارة زوجة إبراهيم، وحفيده لوطاً عليه السلام، وفي أثناء الطريق عدل عن رأيه، وحطّ الرحال في مدينة حرّان الواقعة في جنوب تركيا الحالية، والمتاخمة للحدود السورية.
- جاء في التوراة أيضاً أنّ إسحاق عليه السلام ورث إبراهيم عليه السلام وأنه رُزق توأمين، سمّى أحدهما عيسو (ويعني لغةً كثيف الشعر)، وسمّى الآخر يعقوب.
- ورد في التوراة أن الله سبحانه زوّد موسى عليه السلام بمعجزة تبديل عصاه إلى ثعبان، وظهور نور ساطع من يده، وأرسله إلى بني إسرائيل ليفك أسرهم من أيدي فرعون.
- بناءً على ما ورد في التوراة: لمّا مرّت ثلاثة أشهر على خروج بني إسرائيل من مصر، عُهد إلى موسى عليه السلام أن يتكلم مع الله سبحانه في وادي طور سيناء. وهناك تلقّى لَوْحين نُقشت فيهما وصايا الله سبحانه.
- رضخ فرعون في النهاية للأمر الواقع، فأرسل إلى موسى وهارون ليلاً، وأذن لهم بالخروج ببني إسرائيل. إلاّ أنّه سرعان ما نَدِم، فأتبعهم بجنوده حتى

بلغـوا شاطىء البحر، فانفلق، فتجـاوزه بنو إسرائيل إلـى الشاطئ الثاني، فلمـا تبعهم جنود فرعون فـي البحر، أشار موسى عليه السلام بيده بأمر من الله سبحانه، فَغرقوا جميعاً.

- بعد حادثة فرعون نظم موسى أمور قومه، وأعدّهم لقتال الكافرين، وعلّمهم أحـكام الله، وبارك فيهـم، ثم توفّي في مكان يُعرف بـ «**مـوآب**» بالقرب من البحر الميّت، بعد أن بلغ مائة وعشرين عاماً.

أسـئـلـة

1 - تحدّث عن نسب اليهود.

2 - تكلّم عن شخصية موسى كما وردت في التوراة.

3 - ما هي الألواح والوصايا العشر؟

مطالعة

نقد التوراة

التوراة لفظ عبري، يعني القانون، إذ احتوت على أحكام و قوانين كثيرة. والشريعة هي الاسم الآخر للتوراة.

لقد ميّز الباحثون أربعة مصادر أو أساليب تدوين رئيسة للتوراة هي:

1 - مصدر الوهيمي (E) ويتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم الوهيم (أي الاله).

2 - مصدر يهْوَهي (J) ويتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم يهوه.

3 - مصدر كاهني (P) ويتضمّن مقاطع من التوراة تبحث في الكهنوت اليهودي.

4 - مصدر سفر التثنية (D) وهو رسالة مستقلة أضيفت كسفر خامس إلى التوراة.

إنّ أحد أقدم وأشهر الانتقادات الّتي كُتبت حول التوراة والكتاب المقدس، هي للعالم والفيلسوف الهولندي باروخ (بنديكت) سبينوزا (Baruch [Benedict] Spinoza) حيث وردت في كتابه المسمّى «**رسالة في اللاهوت والسياسة**» (باللغة اللاتينية).

تعرّض سبينوزا في كتابه إلى ضرورة البحث عن مدى اعتبار الكتاب المقدس من خلال التطرق إلى شواهده التاريخية والنقدية المطروحة، ودعم موقفه بأدلة كثيرة، وتأسف لكون القدماء تركوا الخوض في هذا الباب، وإذا كتبوا فيه شيئاً، فإنه بقي بعيداً عن الأضواء، وأضاف: إننا نعيش في ظروف راجت فيها مسائل، تعصّب لها الناس، وأطلقوا عليها اسم الدين دون أن يحكّموا العقل فيها. من هنا فإني عقدت العزم على المضيّ في هذا السبيل بشعور غامر باليأس، وأشرع ـ كخطوة أولى ـ في البحث عن مصنّفي الكتاب المقدس، لا سيما الأسفار الخمسة للتوراة.

الدرس السابع

اليهودية – 2 –
(تاريخ اليهود وفرقهم)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يبيّن تاريخ بني إسرائيل وأهم المفاصل فيه.

2 - يتحدّث عن نشأة الصهيونية وتأسيس الدولة الإسرائيلية.

3 - يذكر نبذة عن أهم الفرق اليهودية.

تاريخ بني إسرائيل

خَلَـف يوشـع بن نون عليه السلام موسى عليه السلام فـي قيادة قومه بأمـر الله سبحانه، وقام بفتـح بـلاد كنعان بعد عبـور نهر الأردن الممتد مـن شمال فلسطين إلـى جنوبها، حيث تعرّض السكّان الأصليون لتلك البلاد – وفقاً لادّعاء العهد القديم إلى قَتلٍ عام، واختصّت أراضيهم ببني إسرائيل. وقد نقل السفر السادس للعهد القديم (المعروف بسفر يوشع) تفاصيل هذه الحروب. ثم ظهر بعد يوشع عليه السلام رجال كبار عرفوا بالقضاة، حكموا بني إسرائيل دون أن يكون لهم عنوان النبوة أو الملك، وجاءت أخبارهم في سفر القضاة.

عصر الملوك

وكان آخرهـم صموئيل الذي أعقب ولديْن، لم تتوفر فيهما مؤهّلات الحكم. لهذا طلب بنو إسرائيل من صموئيل أن يختار لهم ملكاً، لدفع حملات من جاورهم.

وبعـد إصرار شديد، عيّن لهم ملكاً شابـاً بأمر الله تعالى وكان قد مسحه بالزيت فـي حدود عام 1030 ق.م، هـذا المسح جعل منه مسيحاً (ماشيحـاً) وحاكماً إلهياً مفروض الطاعة، يدعى في العهد القديم شاؤول[1]، وفي القرآن الكريم طالوت[2].

(1) سِفْر صموئيل الأول: الإصحاح 9.
(2) سورة البقرة، الآية: 247.

وعقب هـذا الانتخاب، اندلعت معارك طاحنة بين بنـي إسرائيل والفلسطينيين، أسفـرت عن انتصار بنـي إسرائيل، ومقتل جُلّيات أحد أبطـال خصومهم (المسمّى جالوت في القرآن الكريم) على يد داود عليه السلام، وهزيمة جيشه.

ثـمّ خَلَـف داودُ طالـوتَ (فـي حـدود سنـة 1015 ق. م)، وكان من أهـل الدعاء والمناجـاة ورجل حرب فـي آن واحد، وكان يحظى باحترام خاص لدى اليهود ومن أهم إنجازاته فتح مدينة أورشليم[1] وجعلها عاصمة ملكه وأسماها مدينة داود. يُذكر أن أورشليم كانت قبلة اليهود.

وأعقبه سليمان الذي اعتلى منصّة أبيه داود، وبلغت مملكته أوج مجدها، وشيّد معبـداً كبيـراً في مدينة أورشليم، اشتهـر باسم هيكل سليمـان (وتعني الهيكل في اللغـة العبرية البنـاء العالي) - وقد وقع هذا المعبد بيـد المسيحيين تدريجاً ومن ثـم بيـد المسلمين، وقد شيّدوا مسجداً ضخماً أطلق عليـه مسجد عمر، وبنوا عليه قبـة تدعـى قبة الصخرة وتـمّ تذهيبها فيما بعـد، كما تمّ بناء مسجـد آخر صغير إلـى جانبـه مـع قبة زرقاء والـذي كان معروفًـا سابقًـا بالمسجـد الأقصى- هذا المعبـد هدمه نبوخذ نصّر عام 587 ق.م، وأُعيـد بناؤه، ثمّ دمّره تيطس الروماني (Titus)، عـام 70 م.

وقـد اعتقد أهل الكتاب، استناداً إلـى نصوص مجعولة للعهد القديم، أنّ سليمان عليه السلام أقبـل فـي أواخر عمـره على عبادة الأوثـان، واقتراف المعاصـي إثر وسوسة زوجاته المشركات.

(1) الإسم الأصلي لهذه المدينة (Jerusalem)، وتعني مدينة السلام، ويطلق المسلمون عليها اسم القدس أو بيت المقدس (وهي تعادل «بيـت هميقداش» العبرية وتعني دار المعبد)، والاسم الآخر لهـا هو «إيليا كابيتوليا» وقد بدلها المسلمون إلى إيلياء.

تجزئة البلاد

لمّـا توفّـي سليمان عليه السلام ، تسلّم مقاليـد الحكم بعده ابنه رِحُبعـام، الذي أفشى الظلـم، ما حدا بطوائف من بنـي إسرائيل إلى التمرد على أوامره، وبقي تحت نفوذه سبطـان، هما يهوذا وبنيامين في مملكة يهـوذا (اسم أحد أبناء يعقوب) التي تشكل مساحـة صغيرة نسبياً، ومنها اشتق اسم اليهـودي. أمّا سائر الأسباط العشرة، فقد أسّسـوا في شمال فلسطين مملكة إسرائيل المستقلة بقيادة يَرُبعام بن ناباط (وكان من ولاة سليمان عليه السلام).

وقـد أدّت تجزئة البـلاد إلى ضعف وانحطاط بني إسرائيـل، وعكف ملوك يهوذا وإسرائيل على ارتكاب المعاصي والذنوب، وترويج عبادة الأوثان.

الأسر البابلي

ومهمـا يكن من أمر فقد تعرّضت مملكة إسرائيل لهجوم الآشوريين الذين حكموا شمـال العراق وسوريا وكانت عاصمة ملكهم مدينـة نينوى، وأسفر الهجوم عن وقوع أعـداد كبيـرة منهم في الأسر. وبعد مضـي عقد من الزمن، قـاد نبوخذ نصّر ملك بابِل الذي جاء ذكره في العهد القديم، قاد هذا الملك هجوماً كاسحاً على أورشليم، أسفـر عن مقتل سكان مملكـة يهوذا، وأسر جموع غفيرة منهـم، وسوقهم إلى بابل، التي مكثوا فيها زمناً طويلاً.

إنّ وقـوع سـكان إسرائيل ويهوذا في الأسر، أدّى إلـى تشتّتهم في الشرق الأوسط وفـي بلدان أخـرى. وكان لهذا الأسر أهميـة خاصة، ذلك أن بعض سـكّان إسرائيل الذيـن نجوا من أسـر الآشوريين، وقعوا في أسر البابليين، وتـمّ إجلاؤهم مع سكّان يهـوذا إلـى بابل وعُرفت هذه الحادثة فـي التاريخ بالأسر البابلـي. وقد تطبع اليهود خلال مدّة الأسر بآداب وأخلاق المشركين، وقلّ مَن عانى منهم من هموم البُعد عن الوطن وذلّة الأسر وصعوبة أداء الشعائر الدينية.

إعادة بناء المعبد

حينمـا احتل قورش الكبير أحـد ملوك السلالة الأخمينية مدينة بابل أمر بتحرير اليهـود وأذن لهـم بالعودة إلى وطنهم، إلا أن عدداً كبيراً منهم فضّل البقاء في بابل، وقـد حظـي الأمر الذي أصـدره قورش في حـدود عـام (538 ق.م) بتقدير اليهود، وأكسبه محبوبية في أوساطهم.

وعلى أية حـال، فقد عادت مجموعة منهم إلى فلسطين، وبدأت بإعادة بناء مدينة القدس، الأمـر الذي أثار مخـاوف جيرانهم الذيـن حالوا دون تشكيـل دولة مركزية لليهود على أرض فلسطين، ما أدّى إلى تشكيل دويلات ضعيفة فيها. وبعد مضيّ قرون من الاضطراب وعدم الاستقرار تعرضت مدينة القدس للتدمير مرة أخرى على أيدي الرومانيين، الأمر الذي أسفر عن تشتت اليهود وتشرّدهم في العالم. ومنذ ذلك الحين أمضى اليهود حياة مليئة بالمصاعب والذلّة والهوان في البلدان التي استوطنوها.

وفـي هذا الخضم تعـزّزت فكرة المنجي بيـن أوساط بين إسرائيـل، حتى تمكن بنو إسرائيـل بواسطتها من التغلب على اليأس والإحباط الذي انتابهم وقد كتب لهم انتظار المسيحا[1] الدوام والبقاء.

وقـد أحجم اليهـود المنتظرون منذ ما يربو عن 2000 عـام عن إحياء حكومتهم الدينيـة التي ذهبـت أدراج الرياح، اعتقـاداً منهم أنها خلاف سنـة الانتصار، نعم هناك من ادعى أنه المسيحا المنتظر إلا أنّ النجاح لم يحالفه في نهاية المطاف.

وسَرَت في المجتمع الديني روح جديدة بعد عودة اليهود من بابل، وانتشرت المعابد التي سُمّيت فيما بعد بالكنائس «synagogue». هذه المعابد شُيّدت - كسائر المعابد - وفق هندسة معمارية خاصة، حيث احتوت على أماكن للقرابين، وأماكن خاصة أخرى.

(1) لمـا كان مصطلـح المسيـح «Christ» يختص بعيسى ابن مريم عليه السلام، لذا أطلق علـى موعود اليهود «المسيحا» «Messiah».

نضال اليهود

أدّى استقـرار اليهود في أورشليم وإعادة بنائهـا إلى استفحال المشاكل، واندلاع المعارك بين المكابيين وملوك سورية المشركين والتي أسفرت عن غلبة اليهود.

وكان بنـو إسرائيـل آنذاك يرزحون غالباً تحت أمـر المشركين. وقد تزامن ذلك العهـد مع ظهور وتشكيل مجلس مـن أحبار اليهود باسم سَنهِدرين[1]، حيث يجتمعون فيه للبحث والتداول في الشؤون الدينية، وإصدار الأحكام والقوانين.

تدمير أورشليم وتشريد اليهود

قام تيطس نجل امبراطور الرومان بحصار أورشليم، ودمّرها عام (70م)، وقتل جمعاً غفيرًا من أهلها، ولم يسلم من المدينة إلا جدارها الغربي الذي ظلّ قائماً ولم ينقضّ، وأُطلق عليه حائط المبكـى «The Wailing Wall» بسبب إقامة اليهود العزاء إلى جانبه حداداً على ما جرى، وأطلق عليه المسلمون حائط البُراق.

وقـد تشتّـت اليهود عقب هـذه الحادثة في البـلاد المجاورة في أوروبّـا وأفريقيا الشماليـة، واختارت مجموعـة منهم المدينة المنورة (التـي كان يطلق عليها آنذاك اسـم يثرب)، فارتحلوا إليهـا واستوطنوها. وتعزو بعض المصـادر الإسلامية سبب هذا الاختيار إلى أنّهم كانوا بصدد انتظار نبيٍّ يُبعث هناك.

ثـمّ تسلّـم المسلمون فـي عهد الخليفـة الثاني مفاتيـح مدينة القدس من أيدي المسيحييـن بعـد مفاوضات جرت بينهم. قـال الطبري في حوادث سنـة 15 هـ: إن المسلميـن لما فتحوا مدينـة القدس، صالحوا النصارى على أن لا يسكنوا اليهود في هذه المدينة[2].

(1) اشتقت كلمة سنهدرين من الاصطلاح اليوناني (سندريون) الذي يعني المجمع.

(2) انظر: تاريخ الطبري:ج3، ص105، مؤسسة الأعلمي للمطبوعان، بيروت – لبنان.

اليهود وسائر الأقوام

إنّ العنصريــة وسيادة روح الاستعلاء، هما خصلتان لــم تنفكا عن اليهود، الأمر الــذي دفع ببقية الشعوب إلى معاداتهــم وتحقيرهم، ولعله للسبب ذاته دمّرت مدينة القدســ. يُذكر أن وقوع بني إسرائيل في الأسر البابلي كان في حدود القرن السادس قبل الميــلاد. ولما حاصر جنود نبوخذ نصر مدينة أورشليم، أخذ النبي إرميا يدعو النــاســ إلى الاستسلام لأنه أفضل من خــراب المدينة، إلاّ أنّ اليهود لم يصغوا إليه، إذ رأوا فــي موقفه تثبيطاً لعزائــم المقاتلين، فألقوا عليه القبض وأودعوه السجن ثم أطلقوا سراحه بعد سقوط أورشليم وخرابها[1].

كان اليهــود فــي البــلاد الإسلامية ينعمــون بحياة رغيــدة، حتى أن عــدداً منهم تقلّــد مناصــب رفيعة، في حيــن أُرغم اليهود المقيمــون في أوروبّا علــى العيش بذلة فــي أحياء منعزلــة تسمّى الغيتو (ghetto). واتفق كثيــراً أن أجبر هؤلاء على اعتناق المسيحيــة بالقوة، فكانوا نصارى في الظاهر ويهوداً فــي الباطن، وقد عُرفوا باسم اليهــود المتنصّريــن (Marranos). كما نعم يهود الأندلســ بالرخاء والاستقرار في ظــلّ الحكم الإسلامــي. ولمّا سقطت الأندلس بيد الإفرنج عام 1492 م، طُرِد اليهود منهــا أيضاً، فهاجروا إلى البلاد الإسلامية الواقعــة في شمال إفريقيا، إلاّ أنّ القليل منهــم استطاع النجاة مــن مخالب قراصنة البحر وأطماع ربابنــة السفن، والوصول إلى ساحل الأمان والنجاة.

ظهور الصهيونية

إنّ الضغــوط المتواصلــة التي تعرّض لها يهود أوروبّا مــن قبل المسيحيين وأقوام أخرى والنفي المستمر لهم، جعلتهم يفكّرون مليّاً في إنشاء وطنٍ قوميّ لهم. ولم تكن هذه الفكرة وليدة الصدفة بل لها سابقة في التاريخ.

(1) سِفْر إرميا: 14/39.

ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أُخرجت جماعة كبيرة من يهود روسيا، فاستوطـن بعضها غرب أوروبّا، وبعضها الآخر فلسطين في مكان بالقرب من ساحل البحـر الأبيض المتوسط، أطلقـوا عليه اسم صهيون. وكانـت فلسطين آنذاك تابعة للخلافـة العثمانية، وكان اسم صهيـون يطلق قديماً على هضبة بالقرب من القدس، حيث كانت في زمن اقتدار دولة بني إسرائيل (عصر داود وسليمان) مركزاً عسكرياً.

وفـي تلك الحقبة نهض يهـود أوروبّا وروسيا متجاهلين سنّة الانتظار من أجل نيل العزة والاستقلال، وقام صحفي نمساوي يدعى «**ثيودور هرتزل**» بتأسيس الصهيونية، وبـذل جهوداً جمـة في هذا السبيـل، إلا أنه اصطـدم بطائفتين مـن اليهود: طائفة اعتقدت أن الصهيونية تخالف عقيدة المسيحا، وأخرى لم ترتض الفصل العنصري واعتبـرت التعايش السلمي مع سائر الأقوام هو الحل الأمثل. ولكن الصهاينة تمكنوا مـن إقناع بني جلدتهم بضرورة إنشاء وطـن قومي لهم. وتبع ذلك هجرة اليهود إلى فلسطيـن. وقد حذر المفكرون المسلمون من مغبـة هذه الهجرة، واعتبروها مؤامرة خطيـرة تستهدف الإسلام وحذروا المسلميـن من التعاون مع المهاجرين[1]. وحينما وقـف المسلمون علـى عمق الفاجعـة كانت السبل قـد أوصدت أمامهـم، ولات حين مناص.

تأسيس إسرائيل

لقد تناسـى الصهاينة ضيافة المسلمين الفلسطينيين لهم، فاغتصبوا أراضيهم بأساليـب بشعـة، عام 1948م. وأنشـأوا عليها دولة إسرائيـل العنصرية، ولم يمضِ سوى عقد من الزمن حتى قام الكيان الصهيوني في حرب الأيام الستة عام 1967م باحتـلال أراضـي البلدان المجـاورة وضمّها إلى كيانـه الغاصب، بمـا فيها الشطر

(1) وردت نماذج من هذه التحذيرات في تفسير المنار، ذيل الآية 45 من سورة النساء.

الشرقـي من بيت المقدس الذي يضم المسجد الأقصـى[1]. ويطلق على الهجرة إلى إسرائيـل بالعبريـة «**عليا**» أي علو. واليوم فإن عدد يهـود العالم يبلغ 14 مليون نسمة يقطن 20 بالمائة منهم في إسرائيل و80 بالمائة منهم في دول أخرى.

وقد حشّـدَ الاستكبار العالمي بقيادة أمريكا وانجلترا قـواه لدعم الصهاينة على كافة الأصعدة، الأمر الذي أدّى إلى استغلال الصهاينة لهذا الدعم ـ إلى جانب ضعف قادة الدول الإسلامية ـ في تعزيز وجودهم، وفرض أوضاع مزرية على المسلمين، ما نزال نشهد مضاعفاتها الخطيرة.

وقـد ناهضت جماعة مـن اليهود كجماعة «**نيطوري كارتـا**» فكرة إنشاء إسرائيل واعتبرتهـا مخالفة لتعاليم اليهود، ولم تكتـف بذلك بل قامت بطبع عملاتها الورقية للحيلولة دون التعامل الورقي لإسرائيل الغاصبة والمجرمة، كما خرجت في مظاهرات حاشدة في أمريكا منددة بإسرائيل، واصفه إياها بوصمة عار على جبين اليهودية.

الفرق اليهودية

ظهرت الفرق اليهودية المعروفة بعد الرجوع من بابل. وأما الفرق اليهودية الأكثر قدماً، فلا تتوفر معلومات كافية عنها. من هذه الفرق:

1 ـ الفريّسيون:

ظهرت فرقة الفريسيين أي المنعزلين والمنشقين نحو قرنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ويـدل هذا اللقب على انفرادهم وتميّزهم. وهم يشكّلون الآن غالبية اليهود. ويرجع أصل هذه الفرقة إلى فرقة حسيديم (أي الزاهدين).

(1) حذّرت التوراة اليهود من الطمع بأموال القريب (الخروج: 17/20/ والتثنية: 21/5)، وورد فيها أيضاً: «ملعون من ينقل حدود قريبه» [التثنية: 17/27].

وقد برز الفريسيون من أوساط حسيديم، وكانت اتجاهاتهم الفكرية تختلف كل الاختلاف عن فرقة الصدوقيين، حيث نزهت الله سبحانه عن الجسم والصفات الجسمانية، واختارت حلاً وسطاً في الإرادة الإنسانية، واعتقدت بالبعث والعدل الإلهي وأولت أهمية للصلاة وسائر العبادات، وكان لها نفوذ واسع في المجتمع اليهودي.

2- الصدوقيون:

وهم أتباع صادوق بن اخيطوب الذي عُيّن كاهناً من قبل داود عليه السلام[1]، واستمرّ في منصبه على عهد سليمان عليه السلام[2]. وقد أثنى سفر حزقيال على كهنة بني صادوق ومجدهم ومدح أمانتهم[3].

يذكر أنّ الصدوقيين اهتموا بالقربان بدل الصلاة. وإن العديد من كهنة هيكل سليمان وحاخامات سَنْهِدْرين برزوا من هذه الفرقة، وكانوا على صلة طيبة بحكّام الروم. كما أنهم حافظوا على السنن القديمة، وخالفوا الفريسيين في إعادة النظر فيها وتفسيرها بالرأي وفي عاداتهم وطقوسهم أيضاً.

ومال الصدوقيون إلى الاعتقاد بجسمانية الله سبحانه، وقالوا إنّ الهدايا والقرابين التي تهدى إلى الله سبحانه، هي أشبه بالهدايا التي تقدّم للحكام أو الملك، كما أنهم أنكروا البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، ورأوا أنّ الإنسان يجازى على أعماله في الدنيا، فالعمل الصالح يُنتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيئ يسبِّب لصاحبه المتاعب والأزمات، وآمنوا في مجال الإرادة الإنسانية بحرية الاختيار المطلقة.

(1) سفر صموئيل الثاني: 17/8 و24/15.
(2) سفر الملوك الأول: 34/2.
(3) حزقيال: 15/44.

وهـذه الفرقة لـم تقل عن فرقـة الفريسيين فـي مبلغ عداوتهـا للمسيح عليه السلام، والكيد له، وقد تكرّر أسمها في الأناجيل الأربعة، ولم يبق لها أثر بعد تدمير أورشليم عام 70 م.

3 - السّامريّون:

اشتُـقّ اسم السامريين من مدينة السامرة التي أضحت عاصمة لمملكة إسرائيل بعـد تقسيم أرض فلسطيـن. وقد ظهرت هذه الفرقة بعد العـودة من الأسر البابلي. ويعتقد بعض الباحثين أنها لا تنحدر من اصل إسرائيلي محض، بل ربما تكون مزيجاً من أصل إسرائيلي وآشوري.

وهذه الفرقـة صغيرة للغاية، آمنـت فقط بالأسفار الخمسة مـن التوراة وأنكرت (34) سفراً من العهد القديم.

ولهذه الفرقة اهتمام واسع بالأحكام الدينية، ولهم طقوس خاصة يمارسونها.

4- الإسِينيون:

يحتمـل أن يكـون معنى كلمة إسني الشافـي، لأنهم كانوا بصـدد شفاء نفوسهم، وقيل في وجه تسميتهم بهذا الاسم احتمالات أخرى.

ظهـرت هذه الفرقة قبل حدود قرنين من الميلاد، وانقرضت بعد تدمير أورشليم (شأنها في ذلك شأن الصدوقيين وبعض الفرق الأخرى)، ولم يبق منها سوى الاسم. وقد اكتشفت عام 1947م في إحدى مغارات فلسطين على ساحل البحر الميت بعض آثارهـا المكتوبة مرفقة بنسخ من العهد القديم، الأمـر الذي أزاح النقاب عن بعض اعتقاداتهم المبهمة.

ومن أهمّ ما تتميّز به هذه الفرقة هي أنها تحرّم الملكية الفردية والزواج، وتوجب التبتـل والبعـد عن النسـاء، والاغتسال عـدّة مرات فـي اليوم، ويقال كانـت قبلتهم

الشمس، لا هيكل سليمان، وقد أخذوا ذلك فيما يظهر عن ديانة ميترا.

يُذكر أنّ عدد أتباع هذه الفرقة كان يبلغ في حدود القرن الأول الميلادي ما يقرب من 4000 شخص، وهو رقم كبير نسبياً بالقياس إلى الشروط الصعبة الموضوعة للانتماء إليها. ويعتقد بعض المؤرخين أنّ أفكار هذه الفرقة شكّلت البناء الرئيسي للمسيحية الحاضرة، ويحتمل أنّ أتباعها قد اعتنقوا المسيحية برمّتهم.

5 - القرّاؤون:

اشتق اسم القرّائين من كلمة (قرأ) في العربية والعبرية، وهي إشارة إلى قراءة الكتب السماوية. ظهرت هذه الفرقة بعد بزوغ الإسلام، وأنكرت التلمود (التوراة الشفوية)، والتزمت بحرفية التوراة وظاهرها، ما أدّى إلى تفاقم الخلاف بينها وبين فرقة الفريسيين التي جنحت إلى وضع التفاسير بغية فهم نصوص التوراة. وقد أسّس هذه الفرقة عالم يهودي اسمه عَنان بن داود، عاش في عصر المنصور الدوانيقي ببغداد، وصاحبَ أبا حنيفة، وتعلّم منه اصطلاحات الفقه الإسلامي. ثمّ قام بنشر أفكارها في إيران شخص يُدعى بنيامين النهاوندي، وأجرى فيها سلسلة من التغييرات، وبدّل اسمها من العنانيين إلى القرائين (وفي العبرية قَرائيم معناها القرّاؤون).

وكان أكثر القرّائين في القرون الماضية يقيمون في ربوع العالم الإسلامي، أما اليوم فيقطن أغلبهم في إسرائيل وروسيا وأوكرانيا، ودول أخرى. يذكر أن اسم شبه جزيرة كريمه (Crimea) (القرم) في أوكرانيا مشتق من اسم هذه الفرقة. وهناك فرق أخرى مثل الأشكناز والسفارديم والغيوريين...

- خَلَـف يوشع بن نون عليه السلام موسى عليه السلام في قيادة قومه بأمر الله سبحانه، ثم ظهر بعد يوشع عليه السلام رجال كبار عرفوا بالقضاة، حكموا بني إسرائيل.
- اندلعت معارك طاحنة بين بني إسرائيل والفلسطينيين، أسفرت عن انتصار بنـي إسرائيل، ومقتل جُلْيـات أحد أبطال خصومهـم (المسمّى جالوت في القرآن الكريم) على يد داود عليه السلام، وهزيمة جيشه.
- تعرّضـت مملكة إسرائيـل لهجوم الآشوريين الذين حكموا شمـال العراق وسوريا وكانت عاصمة ملكهم مدينة نينوى، وأسفر الهجوم عن وقوع أعداد كبيرة منهم في الأسر.
- بعـد مضيّ قرون مـن الاضطراب وعدم الاستقـرار تعرضت مدينة القدس للتدميـر مرة أخرى علـى أيدي الرومانييـن، الأمر الذي أسفـر عن تشتت اليهود وتشرّدهم في العالم.
- اغتصب اليهود أراضي الفلسطينيين بأساليب بشعة، عام 1948م. وأنشأوا عليها دولة إسرائيل العنصرية.
- ظهـرت الفرق اليهودية المعروفة بعد الرجوع من بابل، وأما الفرق اليهودية الأكثر قدماً، فلا تتوفر معلومات كافية عنها.
- هنـاك عدد من الفرق اليهودية، منها: الصدوقيون، الفريسيون، القراؤون، السامريون، الاسينيون...

أسئلة

1 - أذكر المفاصل الأساسية من تاريخ بني اسرائيل وتحدّث عن ظهور الصهيونية بالتفصيل.

2 - تكلّم عن فرقة الفريّسيين.

3 - تحدّث عن الصهيونية وتأسيس دولة إسرائيل بشكل مختصر.

مطالعة

أعياد اليهود

لليهود أعياد، هي كالتالي:

1 - عيد السبت: تجتمع فيه الأسر في المنازل، وتتناول وجبة خاصة، ويتقدّم كبيرهم بكأس فيه خمر، فيباركها بعد قراءة دعاء، ثم يتعاقب على شربه أفراد الأسرة. وتعدّ عطلة السبت[1] واحدة من الوصايا العشر[2].

2 - عيد ابتداء الشهر: ويطلق عليه بالعبرية روش حودِش، ويعني ابتداء الشهر.

3 - السنة السابعة أو سنة الانفكاك: وفقاً لما جاء في التوراة، يجب الإعفاء من الضرائب والديون في كل سبع سنين مرة واحدة، والإقدام على أعمال الخير.

4 - سنة اليوبيل: يقام هذا العيد مرة واحدة في كل خمسين عاماً، حيث ينجز فيه الكثير من الأعمال الخيرية والأخلاقية[3].

5 - عيد الفِصح: وتعني في اللغة العفو، لأنّ الله تعالى عفا عن قتل المواليد الأبكار لبني إسرائيل حين عمّ فرعون ورهطه البلاء، وهو أهمّ أعياد اليهود. ويمجّده النصارى أيضاً لتلازمه مع دفن عيسى عليه السلام على حدّ زعمهم.

6 - عيد الأسابيع: يقام هذا العيد بمناسبة مرور سبعة أسابيع على عيد الفصح، والاستعداد للحصاد. والاسم العبري له هو شاووعوت، وتعني الأسابيع.

7 - عيد رأس السنة اليهودية: ويسمّى عندهم روش هشَّانا، ويقع في أواخر أيلول (الاعتدال الخريفي). وينفخ في هذا اليوم بالأبواق إيذاناً باستعدادهم للتوبة

(1) . يطلق على السبت باللغة العبرية شبات، ومعناها العطلة والاستراحة.

(2) انظر سفر الخروج : 20 / 8 ـ 11 .

(3) اللاويين / الاصحاح 25 .

خلال عشرة أيام.

8 - يـوم كيبور: ويعني يوم الغفران. يقع هذا العيد المهم في اليوم العاشر من شهر تِشـري، ويطلقـون عليه اسم «**عاسور**» أي عاشوراء، حيـث يصوم فيه اليهود من غـروب اليوم السابـق حتى ليل هذا اليـوم تكفيراً للذنـوب، فيمتنعون عن تناول الطعـام والشـراب، وعن الاستحمام والعمـل، ويحضرون فـي الكنائس للصلاة والاستغفار، ويرتدي فيه اليهود الأصوليون لباساً خاصاً، ويجتنبون لبس الأحذية المصنوعة من الجلد.

9 - عيـد الظلل: يبدأ في الثاني والعشرين من شهر تِشْري، ويبني فيه اليهود أكواخاً صغيرة لتذكرهم بالأكواخ التي كان يعيش فيها اليهود في فترة التيه. ويطلق عليه بالعبرية سِكّوت ويعني الظلل.

10 - عيـد النـور أو ما يعبّـر عنـه بالعبرية حنوكة: وهـو ذكـرى انتصارهم على اليونانييـن عام 168 ق.م، وتطهيرهم هيكل سليمان من الرذائل والأعداء. ويقع هذا العيد بعد أسبوع واحد من عيد الظلل.

11 - عيد القرعة أو ما يعبّر عنه بالعبرية بوريم: يقع في شهر مارس، وهو احتفاء بذكرى إنقاذ اليهود من مؤامرة هامان وزير الملك خشايارشا لإبادتهم. وقد جاء تفصيـل هذه الحادثة في سفر أستير من العهـد القديم. ووجه تسميته بالقرعة يعود إلى أن هامان تشبث بالقرعة لتعيين يوم إبلاغ خطته للملك.

الدرس الثامن

اليهودية – 3 –

(عقائد اليهود، أحكامهم وكتبهم)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يبيّن أهم عقائد اليهود.

2 - يبيّن بعض أحكام اليهود.

3 - يتعرّف إلى أهم كتبهم.

عقائد اليهود

1- الأصول الثلاثة عشر:

أضفى العالم الديني اليهودي الطبيب الفيلسوف موسى بن ميمون (1135-1204 م). على اليهودية ثوباً جديداً، حين قام بإعداد ثلاثة عشر أصلاً، هي كالتالي:

1 - وجود الله.

2 - توحيده.

3 - تجرّده عن المادة.

4 - تجرّده عن الزمان.

5 - حكمته.

6 - عدالته.

7 - التقرّب إليه بالعبادات.

و هذه جميعها تتعلق بالله سبحانه، أما سائر الأمور، فهي:

8 - الاعتقاد بالنبوة.

9 - أفضلية موسى عليه السلام على سائر الأنبياء.

10 - الإيمان بأنّ التوراة كتاب سماوي.

11 - عدم جواز نسخ الأحكام.

12 - ظهور المسيحا الموعود.

13 - القيامة وخلود النفس الإنسانية.

2 - التوحيد في الديانة اليهودية:

أُقيمت دعائم اليهودية منذ البداية على التوحيد، ونهض جميع أنبيائهم من موسى عليه السلام حتى آخرهم لمكافحة الشرك.

إنّ الاسم الخاص للّه سبحانه في الديانة اليهودية هو (يهوه) ويعني الموجود. وقد حظي هذا الاسم بقدسية بالغة لدى اليهود، وإنّ تلفّظه حتى من خلال قراءة التوراة يُعدّ حراماً. وعلى إثر هذا التحريم فإنّ أحداً لا يعلم على وجه الدقّة التلفّظ الحقيقي لهذه الكلمة، ولهذا فإنها تُكتب في بعض الكتب العلمية للغرب بدون حركات (YHWH) عملاً بالاحتياط العلمي. ويعتقد بعض الباحثين أن التلفّظ الحقيقي لهذه الكلمة هو (يَهْوَهْ).

ومن الأسماء الأخرى للّه (إهْيِهِ أشِرْ إهْيِه) وقد ورد هذا الاسم في سِفْر الخروج: 14/3 إلّا أنّه صُحّف إلى آهِيّاً شَراهِيّاً بسبب قلة اطّلاع بعض النّسّاخ.

3- النبوة في اليهودية:

يؤمن اليهود بالنبوة، ولهم فيها أبحاث كلامية واسعة، إلاّ أنهم فسّروها بتفسير خاص، هو التنبّؤ، وزعموا أنّ أنبياء كباراً كإشعيا، إرميا، حزقيال، وهوشع كانوا أنبياء، أي متنبّئين بالمستقبل.

وقد ذكر العهد القديم العديد من الأنبياء مثل إشعيا وإرميا وعاموس، وأورد

خطاباتهـم التي حذروا فيها بنـي إسرائيل من مغبّة أعمالهـم القبيحة، وتنبّأوا لهم فيها بالذلّة والهوان والأسر. وقد اشتمل (17) سفراً من الأسفار المذكورة في نهاية العهد القديم ـ والتي تُعرف بالأسفار النبوية ـ على هذه التنبّؤات.

4- المعاد في اليهودية:

لـم يرد المعاد في التوراة بل لم يـرد في العهد القديم أصلاً. ولا بدّ من القول إنّ تعبيـر الآخرة الـوارد في سِفْر التثنية 16:8 ومرائي أرميـا 18:4 جاء بمعنى العاقبة الدنيويـة. ومن وجهـة نظر التوراة[1] فإن الكفر والإيمان لهمـا تأثير مباشر في جلب النعم الدنيوية أو سلبها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التلمود مشحون بذكر القيامـة. وقـد أنكرت فرقـة الصدوقيين البائـدة القيامة خلافـا للفريسيين الذين اعتقدوا بها، وكانوا يعتقدون بوجود الجنة وجهنم.

إنّ أحد معتقدات اليهود الرئيسة الذي يرى الباحثون أنه مقتبس من الزرادشتية، هو فكرة البعث أو الرجعة، حيث ذهب الإيرانيون القدماء إلى أنّ «**أهورا مازدا**» سوف ينتصر في النهاية على «**أنغرومئنيو**» ويقضي عليه، ومن ثم ينبعث الموتى. واكتست هـذه الفكرة طابعاً معنوياً، وأصبحت نتاجـاً أصيلاً لإلهامات اليهود، وبذلك ابتعدت عن أصلها الشكلي الجامد الذي كانت عليه في ديانة إيران القديمة.

وذكر الباحثون أن الاعتقاد بخلود الروح كان رائجاً عند بني إسرائيل منذ القدم، وأشيـر إليـه في عدّة مواضـع من الكتاب المقدّس، ولكن هذا الاعتقـاد ارتبط بعد العـودة من بابل ارتباطاً وثيقاً بفكـرة خلود المسيح الموعود وظهـوره التي ترشحت عنهـا فكرة البعث. وهذه الفكرة تعارض صريح القرآن الكريم الذي تحدث عن بعثة موسى عليه السلام في أوائل سورة طه، والتي نفهم منها بوضوح أن البعث جاء على لسان موسى عليه السلام في أول خطاب له.

(1) اللاويين: الإصحاح 26، والتثنية: الإصحاح 28.

5 - انتظار ظهور المسيح:

إنّ فكـرة انتظار «**المسيح**» فكرة يهوديـة محضة، فإنّ الأقوام الغابرة لما أصيبوا بخيبـة أمل مريرة، ويئسوا من المستقبل، بعـد العصر الذهبي الذي مروا به، راحوا يتشدقون بالماضي الذي وجدوا فيه كمال السعادة الاجتماعية والوطنية.

واليهـود آمنوا بأن العالم قد خُلق على أكمل وجه، وأن الإنسان الأول خُلق مباشرة علـى يد الله سبحانه، الأمر الـذي يستدعي أن يكون كاملاً وسعيداً. وعلى الرغم من ذلـك، فإنهم لا يُمنّون أنفسهـم بالسعادة والفضيلة اللتين سادتا العصر الذهبي، بل هـم يتطلّعون إلـى مستقبل جديد. وقد اشتهرت بين اليهود عبـارة الكتاب المقدس: «**فتكون حالتك الأولى وضيعة، وتكون حالتك الأخيرة مزدهرة**»[1].

وكان اليهـود بعد التدمير الأول لمدينة القدس ينتظرون قائداً إلهياً فاتحاً، يعيد لهم عظمة وشوكة شعب الله في عهد داود وسليمان، وأطلقوا على المخلص المنتظر اسـم «**المسيح**» ويعني «**الممسوح**»، وهو لقب ملوك بنـي إسرائيل، لأنّ الأنبياء طبقاً لأسطـورة قديمة، كانوا يمسحون رؤوس الملوك بزيت البركة أمام الملأ، الأمر الذي يُكسبهـم نوعـاً من القداسـة. ثم صار هذا اللقـب (المسيح) فـي العصور اللاحقة للمنقذ المنتظر.

ولمـا كان مصطلح «**المسيح**» (Christ)[2] يختصـ بعيسى عليه السلام، فإن ذلك دعا علمـاء اليهود إلـى الإشارة إلى موعود اليهـود بمصطلح «**المسيحـا**» وهو مشتق من الكلمة العبرية «**ماشيحا**»، نظراً إلى أنّ تلفظها باللغة اللاتينية هو (Messiah).

لقـد أفعمت قلـوب بني إسرائيـل بحب المسيـح الموعود، في حيـن كان الحكام الظلمة يتربّصون به الدوائر. ونطالع في الاصحاح الثاني من إنجيل مَتّى أن هيرودس

(1) أيوب: 7/8.

(2) ورد المصطلح اليوناني Christos بمعنى الممسوح بالزيت وهو يعادل «المسيح» مع تغيير طفيف.

الكبيـر ملك فلسطين، هـمّ بقتل عيسى عليه السلام عقب ولادتـه، إلاّ أنّ هذا الخطر رُفع عنه، بعد أن حُمل إلى مصر بأمر الله سبحانه.

وقـد أضفى اليهود مسائل أخرى على عقيـدة المسيحا، كإخراج الأرض خيراتها فـي عهد المسيحـا، والتكهّن بوقوع حوادث في ذلك العهد لا أثر لها ولا عين حتى في العصر الذهبي لداود وسليمان، نظير جريان السحاب والرياح والشمس والأرض بما يشتهـي بنو إسرائيل. وقد دونت هذه التنبؤات في كتب كثيرة، وظهرت من وراء ذلك أدبيـات المكاشفـة (Apocalyptic Literature)، وما كتـاب دانيال من العهد القديم الـذي صنـف عام 165ق.م. إلا نمـوذج على ذلك. وقد عزا جمع مـن الباحثين هذه العقيـدة إلى الديانـة الزرادشتية ثم سرت إلـى اليهودية من خـلال الاعتقاد بقيام الماشيح.

أحكام اليهود

إن لليهـود أحكامـاً كثيرة ومعقدة للغاية، لا يسع ذكرهـا في هذا المختصر. هذه الأحكام تتعلّق بأمور النجاسة والطهارة والأكل الحلال والحرام وأمور أخرى.

وقد وردت أحكام اللحم الحلال والحرام في سِفْر اللاويين 11 والتثنية 14، ومن جملتهـا حليـة لحم الـدواب ذوات الحوافر والمجتـرة، وعلى هذا فـأكل لحم البعير والأرنـب حـرام لأنها ليست مـن ذوات الحوافر، ولحم الخنزير حـرام لأنه ليس من الحيوانـات المجترة، وهكذا الحال في الطيور والحيوانـات البحرية فإن لها أحكاماً متنوعة. ويضع اليهود قيوداً كثيرة على حلية لحوم الحيوانات وطريقة ذبحها وكيفية طبـخ لحومها وأكلهـا، والشروط الـلازم توفرها في الذابح، ويسمـى اللحم الحلال المأكول «**كاشر**».

كمـا يحرم تناول اللحم مع اللبن. وتقوم مجموعـات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر أحيانـاً بتفقّد المطاعـم في إسرائيل لئـلّا تقدّم لزبائنها اللحـم الحرام أو

اللحـم مع اللبن، وتوجب علـى أتباعها غسل الأيدي وفقاً للديانة اليهودية حين تناول الخبز وأنواع أخرى من الأطعمة.

ويعتبـر غسل الأيدي إلى المفصل بعـد النهوض من النوم وضوءاً للعبادة، كما أن شدّ الذراع والجبهة الوارد في بعض أسفار التوراة واجب حين أداء صلاة الصبح.

وهم يقيمون الصلاة ثلاث مرات في اليوم: صلاة الصبح، صلاة العصر، وصلاة المغـرب. وتقام الصلاة عند حضـور ما لا يقل عن 10 أشخاص في الكنيسة، ويُقدَّم أكبرهـم سنّاً وأعرفهم بالعبرية، فيقـرأ مقاطع من التوراة أو أدعيـةً بالعبرية، وقد يركعون في بعض الموارد.

يذكـر أن قبلة اليهود هي هيكل سليمـان (المسجد الأقصى)، وانفرد السامريون منهم فاتخذوا من جبل جِرزيم (القريب من نابلس) قبلةً لهم.

وصـوم اليهود مـوزع على أشهر السنة، وأهم صوم لهم هـو صوم يوم كيبور حيث يبتدئ فيه الصوم من غروب اليوم السابق لمدة يوم كامل، ويحترزون فيه عن تناول الأكل والشـرب والغسل، ما خلا غسل الأصابـع والتجميل واستعمال العطور والجماع ولبـس أحذيـة الجلد، ويبـادرون إلى العبـادة والاستغفار في الكنيسـة، وصوم اليوم التاسع من الشهر العبري (آب) تخليداً لذكرى تدمير أورشليم عام 587 ق.م، حيث يمارسـون فيـه طقوساً كطقوس يوم كيبـور، وصوم يوم الاثنيـن والخميس حيث يتم بالكف عن الأكل والشرب منذ طلوع الفجر وحتى غروب الشمس.

وكان معبـد أورشليم قائماً حتى عام 70م، يحج إليه الذكور من اليهود سيراً على الأقـدام ثـلاث مرات في السنة وهي: عيـد الفصح، وعيد الأسابيـع، وعيد سوكوت. وبالطبـع فإن ثمة زيـارات أخرى إلى أورشليم غير ما ذكر. يشـار إلى أن الختان في اليهودية فريضة مؤكدة وعهد الله إلى إبراهيم عليه السلام [1].

(1) سِفْر التكوين: 9/17 - 14.

ويطلق اسم اللاويين على من انتمى إلى موسى وهارون عليهما السلام، وهم بمنزلة السادات في العالم الإسلامي[1]، والحاخام (الحكيم) هو عالم اليهود والكاهن كذلك، ويجب أن يكون من نسل هارون عليه السلام أو من اللاويين.

كتب اليهود

1 - العهد القديم (تنَخ tenakh):

يطلق اليهود على كتابهم السماوي اسم «تنَخ» وهو نفس العهد القديم الذي أطلقه النصارى على الكتاب المقدّس لليهود في مقابل عهدهم الجديد. ويؤمن النصارى بالعهدين على حد سواء من خلال تقديم الناسخ على المنسوخ. فإذا ورد في التوراة حرمة لحم الخنزير، وحذرت اليهود من تناوله، فقد ورد في العهد الجديد حلية كافة أنواع اللحوم، وبالطبع فإنّ المسيحيين كاليهود ينكرون النسخ ويعتقدون أن شريعة العهد القديم كانت مقدمة لترك الشريعة في العهد الجديد.

وقد كُتب العهد القديم باللغة العبرية وقليل منه باللغة الكلدانية، وهما نظير اللغة العربية من اللغات السامية. ويبتدئ العهد القديم بكتاب التوراة.

والتنخ أو العهد القديم - حسب الترجمة المسيحية - 39 سِفْراً، وتنقسم مواضيعه إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

- القسم التاريخي للعهد القديم.
- الحكمة، الأناشيد والشعر.
- تنبّؤات الأنبياء.

(1) السيد في الإسلام هو من ينتمي عن طريق الأب إلى هاشم جد رسول الله ﷺ، وهكذا الحال عند اللاويين فهم ينتمون إلى موسى بن عمران بن قهات بن لاوي.

أ- القسم التاريخي لتنخ (العهد القديم):

يشتمل القسم التاريخي للعهد القديم على 17 سِفْراً، ويطلق على الأسفار الخمسة الأولى «**التوراة**» أو «**بنتاتوك**» «Pentateuch» وتعني الأسفار الخمسة.

تبدأ التوراة بسِفْر التكوين الذي يتضمّن خلق العالم، قصة آدم وحواء وأكلهما من شجرة المعرفة وإخراجهما من جنة عدن، أخبار أولاد آدم، وطوفان نوح، وأخبار إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام. أما الأسفار الأربعة اللاحقة، فإنها تتناول سيرة موسى عليه السلام. وحسب عقيدة اليهود والنصارى فإن مؤلّف الأسفار الخمسة هو موسى عليه السلام، ويعقب الأسفار الخمسة اثنا عشر سفراً تشتمل على تاريخ بني إسرائيل منذ عهد يوشع عليه السلام فما بعده.

ب- الحكمة، الأَناشيد والشعر:

يشتمل هذا القسم على خمسة أسفار، وهي:

1 - سفر أيوب (تعرّض إلى ابتلاء أيوب عليه السلام، وصبره وسخطه، على حدّ تعبير هذا السفر).

2 - سفر المزامير ويعني زبور داود (وهو مجموعة تتألف من 150 مزموراً).

3 - سفر أمثال النبي سليمان عليه السلام (وهو مجموعة نصائح).

4 - سفر الجامعة (وهو من الشعر، فيه تشاؤم وتشكيك حول الدنيا).

5 - سفر نشيد الأناشيد (وهو مجموعة أشعار غزلية).

ج. تنبّؤات الأَنبياء:

ويشتمل هذا القسم على تحذيرات وتهديدات تحوم حول عاقبة بني إسرائيل. ولا بدّ للقارئ من أن يحيط علماً بتاريخ تلك العصور لكي يقف على مغزى تنبّؤات الأنبياء، ويضمّ هذا القسم (17) سفراً.

2 - التَّلْمود:

اشتقّت كلمة التلمود التي تعني التعليم من الفعل الثلاثي العبري «**لمَد**» (ويعني علّم)، وهي ذات علاقة بلفظ تلميذ ومشتقاته الذي هو رباعي في اللغة العربية. والتلمود كتاب ضخم جمعت فيه أحاديث اليهود وأحكامهم.

وقد ظهرت أبان السبي البابلي جماعة أُطلق عليها سوفِريم (وتعني الكُتّاب)، وهم الذين أولوا أهتماماً بكتابة التوراة والأحكام الدينية. ومن أبرزهم الكاتب «**عزرا**» (عُزَيرٌ) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، ولعله أبرز شخصية ظهرت في أوساط اليهود بعد موسى عليه السلام، حيث عقد العزم على إثراء شريعة موسى عليه السلام من خلال استخراج نصوص من كتاب العهد القديم، تفي بمتطلبات المجتمع اليهودي، وكانت خطوته تلك بداية للسنّة الشفوية.

ثمّ راج بعد عزرا أسلوبٌ في تفسير وتأويل النصوص الدينية يُسمّى مدراش (ومعناه البحث والتتبّع)، لأن العلماء تتبّعوا على ضوئه المعاني الكامنة في التوراة، بغية وضع الحلول لكافة المسائل والمستجدات.

وانتخب لأسفار التلمود اسم المشنا (Mishnah) بمعنى المثنّى أو المكرّر، أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة في مقابل المِقرا، وتعني القراءة أو المقروء. ويُطلق على التلمود المشنا لأنه تكرار للتوراة، وعلى التوراة المِقرا.

وقد دُوّنت أسفار المشنا باللغة العبرية العاميّة، وهي لغة التخاطب لدى بني إسرائيل، وهي تختلف اختلافاً غير يسير عن اللغة العبرية التي أُلّفت بها أسفار العهد القديم.

وعلى أية حال، فالتلمود ينقسم إلى ستة أقسام، تتضمن 63 رسالة في 523 فصلاً، وهذه الأقسام هي كالتالي:

1 - كتاب زراعيم (أي البذور، ويتضمّن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة) 11 رسالة.

2 - كتاب مُوعَد (أي العيد أو الموسم، ويتضمّن الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة) 12 رسالة.

3 - كتـاب ناشيم (أي النساء، ويتضمّن الأحكام والنظم الخاصة بالزواج والطلاق) 7 رسائل.

4 - كتاب نزيقين (أي الأبرار، ويتضمّن جزءً كبيراً من الشرائع المدنية والجنائية) 10 رسائل.

5 - كتاب قداشيم (أي المقدّسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل) 11 رسالة.

6 - كتـاب طهاروت (أي الطهارة، ويتضمّن الأحـكام الخاصة بما هو طاهر ونجس، وما هو حلال وحرام من المأكولات والمشروبات وغيرها) 12 رسالة.

وأطلـق على شروح المِشنا اسم «**الغِمـارا**» (Gemara) أي الشرح والتعليق، وزُعم أنهـا استـدراك لأحاديث الربابنـة الماضيـن، وبها يكتمـل كتاب المشنـا. وتتناول «**الغِمـارا**» كل مقطع من نصوص المِشنا على حدة، وتشبعه شرحاً وتفسيراً وتحليلاً، مع استعراض الشواهد.

وثمّـة نوعـان للغمارا: أحدهمـا، الغِمـارا الفلسطينيـة التي دوّنها علمـاء اليهود فـي فلسطيـن، والثاني الغِمارا البابليـة التي دوّنها علماء اليهود فـي بابل، وهي أكثر تفصيلاً من الغِمارا الفلسطينية.

وقد قسّـم التلمود تبعاً للغمارا إلـى قسمين أيضاً: التلمـود الفلسطيني، والتلمود البابلـي. ويتألـف التلمود من عنصريـن أساسيين: أحدهما هالاغـاه (Halakhah) وتعنـي الطريـق والمسلك وهي عبارة عـن تعاليم دينيـة للحياة الصالحـة، والآخر الهغـادا (Haggadah) أي الحديـث، وهـو عبارة عـن أحاديث الربابنـة التاريخية والخُلقية والدينية التي تستهدف بناء شخصية المؤمن عبر الأمثال والعبر والقصص

المستقاة من تاريخ اليهود وسير حكمائهم وعظمائهم، ومن خلال وصف أنواع الثواب والعقاب في هذا العالم والعالم الآخر.

وقد تكفّل التلمود باعتباره دائرة معارف غزيرة المحتوى بالحفاظ على الديانة اليهودية، وأضحى مصدراً هامّاً من مصادر التشريع اليهودي. ولكونه يتضمّن الطعن على عيسى عليه السلام فقد رفضه المسيحيون، وأعلن زعماء الكنائس في القرن السادس الميلادي عن مخالفتهم له، بيد أن ذلك لم يخلّف مشكلة كبيرة طيلة قرون متمادية، إضافة إلى أن الأوساط العلمية اليهودية حرصت على عدم إثارة حفيظة النصارى، إلى أن قام يهودي اعتنق المسيحية بتحريض البابا عام 1239م على حرق كتاب التلمود، ومنذ ذلك الوقت أصبح حرقه أمراً رائجاً، حيث تُسيّر العربات المحملة بنُسَخ هائلة من التلمود إلى ميادين المدينة، ويتمّ احراقها أمام الملأ، أو الانتفاع من جلودها في صناعة الأحذية.

3 - قبالا:

ظهر العرفان أو التصوّف في الأديان كردّ فعل على الشريعة والتعقّل (الفقه والفلسفة)، ولا يتيسّر إثباته أو نفيه، لأنه نابع من الذوق، وله ارتباط وثيق بالفن، وهو كالنار الهادئة يجذب كل شيء نحوه ويتقدم إلى أمام.

وترك العرفان اليهودي (الذي يسمّى قبالا أي المقبول) بصمات واضحة على الحياة المعنوية لبني إسرائيل. ومن أشهر الكتب التي أُلفت في هذا المضمار، كتاب زوهَر (أي زاهر)، وقد دار جدل ونقاش طويل حول مؤلف الكتاب المذكور.

ويُبحث في علم قبالا عن العرش الإلهي، والاسم الأعظم، وحوادث آخر الزمان، وظهور المسيحا الموعود، والرجعة، والقيامة، ويلعب علم الحروف دوراً كبيراً في هذا الفن.

- أُقيمت دعائم اليهودية منذ البداية على التوحيد، ونهض جميع أنبيائهم من موسى عليه السلام حتى آخرهم لمكافحة الشرك.
- إنّ الاسم الخاص لله سبحانه في الديانة اليهودية هو (يهوه) ويعني الموجود.
- يؤمن اليهود بالنبوة، ولهم فيها أبحاث كلامية واسعة، إلاّ أنهم فسّروها بتفسير خاص، هو التنبّؤ، وزعموا أنّ أنبياء كباراً كإشعيا، إرميا، حزقيال، وهوشع كانوا أنبياء، أي متنبّئين بالمستقبل.
- لم يرد المعاد في التوراة بل لم يرد في العهد القديم أصلاً.
- لليهود أحكاماً كثيرة ومعقدة للغاية، لا يسع ذكرها في هذا المختصر، هذه الأحكام تتعلق بأمور النجاسة والطهارة والأكل الحلال والحرام وأمور أخرى.
- إن أحد معتقدات اليهود الرئيسية الذي يرى الباحثون أنه مقتبس من الزرادشتية، هو فكرة البعث أو الرجعة.
- يطلق اليهود على كتابهم السماوي اسم «**تنَخ**» وهو العهد القديم نفسه.
- يشتمل القسم التاريخي للعهد القديم على 17 سِفْراً، ويطلق على الأسفار الخمسة الأولى «**التوراة**» أو «**بنتاتوك**» وتعني الأسفار الخمسة.
- التلمود كتاب ضخم جمعت فيه أحاديث اليهود وأحكامهم.
- لكون التلمود يتضمّن الطعن على عيسى عليه السلام فقد رفضه المسيحيون، وأعلن زعماء الكنائس في القرن السادس الميلادي عن مخالفتهم له.
- ترك العرفان اليهودي (الذي يسمّى قبالا أي المقبول) بصمات واضحة على الحياة المعنوية لبني إسرائيل. ومن أشهر الكتب التي أُلفت في هذا المضمار، كتاب زوهَر.

أسئلة

1 - أذكر العقائد الأساسية الثلاثة لدى اليهود وتكلّم عن واحدة بالتفصيل.

2 - أذكر عدداً من أحكام الديانة اليهودية.

3 - تكلّم عن العهد القديم والفرق بينه وبين التلمود.

مطالعة

الحياة العائلية عند اليهود

تبدأ الحياة الزوجية بالخطبة، التي تقام تحت قبة مخصوصة (Huppa). وعلى الخاطب ومخطوبته صيام اليوم السابق لإعلان الخطبة، التي تعقد بمحضر شاهدين اثنين يعينان خصيصاً لهذا الأمر، ومن غير أقارب الزوجين. وعلى الزوج أن يقدم عهداً مدوناً Ketubbah، يتضمن ضمانات تكفل حق الزوجية مستقبلاً. والقصد من الزواج هو التكاثر والتناسل وطلب العفة وبناء عش الزوجية. فقد جاء في (سفر التكوين: 1/ 18): «**خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها..**»

ولا يجوز للزوجين الجِماع خلال فترة الحيض التي تسمى الزوجة فيها «Nidda»، وسبعة أيّام من بعدها، وكذا اثني عشر يوماً من كل شهر تعرف بفترة الانفصال: «Michitzah» أما فترة وجوب الاتصال الجنسي بين الزوج وزوجته فتعرف بـ «Onah». وعلى الزوجة الاغتسال في بركة مخصوصة جُمعَ ماؤها من المطر (Mikveh)، ومثل هذا الغسل يلزم المخطوبة قبل الدخول بها.

ورغم أن تعدد الزوجات كان عادةً شائعةً ومألوفة بحكم التوراة والتلمود، فقد انعقد رأيُ علماء اليهود في المجمع الديني (Synod) الذي دعا إلى عقده جيرشوم حوالي نهاية الألف الأول من الميلاد على تحريمه، وأن لا يقع طلاق من غير رضى الزوجة وقبولها، ولكنه ظل مألوفاً، عند اليهود الساكنين في الأوساط الإسلامية[1].

(1) في غياب السلطة الدينية المركزية الممثّلة للشرعية والإجماع، بدأت الدعوة إلى عقد المجامع الدينية Synod، مثل المجمع الآنف الذكر الذي دعا إليه جيرشوم (960 – 1041م)، والذي حرم فيه تعدد الزوجات، ووجوب توفر رضى الزوجين لوقوع الطلاق، ثم عقد مجمع في ميتز 1223م، ومجمع يهود إسبانيا 1354م ومجمع القدس 1552م والمجمع الذي دعا إليه نابليون عام 1806م. وفي عام 1903م، عقد مجمع كبير حضره خمسون من كبار ربائي اليهود بمدينة كراكاو، وتحت زعامة رئيس ربائي الاسكندرية إلياهو حزان، وانتهى هذا المجمع إلى نفي تهمة مصّ دماء المخالفين عن اليهود، ورفض النزعات العدمية التي انتهى إليها بعض اليهود. [أنظر: دائرة المعارف اليهودية، مادة: اليهودية، ص 604 – 605.

الدرس التاسع

المسيحية – 1 –

(سيرة عيسى عليه السلام)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتحدّث عن سيرة عيسى عليه السلام ونشأته والعصر الذي عاش فيه.

2 - يتحدّث عن نهضة عيسى عليه السلام ونهاية دعوته كما وردت في الأناجيل.

3 - يبيّن مواقف عيسى الثورية والسياسية.

عصر ظهور عيسى عليه السلام

ولـد المسيـح عيسـى عليه السلام في إحدى نقـاط العالـم التي كانـت خاضعة لنفوذ الرومان، فلسطين، وهي آخر الأراضي التي وقعت تحت سيطرتهم. وفي هذا العصر رزح اليهـود تحـت سلطة الرومـان الذين مارسـوا ضدّهم ضغوطاً كبيـرة، أسفرت عـن نشوب اضطرابات وحركات تمرّد في صفـوف اليهود في فلسطين، تمّ إخمادها وقمعها بكلّ قسوة.

سيرة عيسى عليه السلام

ولد عيسى عليه السلام وفقا لإنجيليّ متّى ولوقا في بيت لحم (على بعد 8 كم من أورشليم)، وهي المدينة نفسها التي وُلد فيها داود عليه السلام قبل حدود 1000 عام من الميلاد. وتعتبر سنـة ولادة المسيـح بداية التاريخ الميلادي. ولكن يصعـب تحديد سنة ولادته على وجه الدقة، ويحتمل أن تكون قبل أربع إلى ثمان سنوات من مبدأ التاريخ الميلادي.

وقـد وردت قصّة ولادته في بدايـة إنجيليّ متّى ولوقا، إلاّ أنّهـا لم ترد في إنجيلي مرقـس ويوحنّـا، كما لـم يرد فيهـا ذكر لبيت لحـم، وإنّمـا أشارا فقط إلـى مدينة الناصرة[1].

(1) مرقس: 9/1، يوحنا: 45/1 ـ 46 و42/7.

وأُطلـق عليه بعد ولادتـه اسم يسوع، وأبدلـه اليونانيون والرومانيـون إلى يسوس (Iesus، Iesous)، وعُـرف في العربية باسم عيسى. ولم ترد في الأناجيل أيّة إشارة إلى حياة الطفولة وأوان الشباب لعيسى. ولمّا بلغ من العمر حدود ثلاثين سنة، قصد يوحنّـا المعمدان (يحيى بن زكريا عليه السلام) للتعميد، مـا يؤيد احتمال معرفته بفرقة الإسينيين من قبل.

وقد ورد في الأناجيل ذكرُ إخوةٍ لعيسى عليه السلام وأخوات. ووفقاً لعقيدة المسيحيين الكاثوليك والأرثذوكس فإنّ مريم عليها السلام ظلّت عذراء إلى آخر عمرها، فمن المستحيل أن يكـون لعيسى عليه السلام إخـوة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ولهـذا عمدوا إلى تأويل كلام الإنجيـل في هذا الصـدد. أمّا المسيحيون البروتستانـت، فيميلون إلى المعنى الظاهر لهذه الكلمات من خلال القول إنّ عيسى عليه السلام ولد من مريم العذراء، ولكن مريـم عليها السلام وزوجها يوسـف النجار مارسا حياتهما الزوجيـة بصورة طبيعية عقب ولادته عليه السلام، وأنجبا أطفالاً.

يوحنا المعمدان

ظهـر قبـل بعثة عيسى عليه السلام بقليـل، نبي شاب هو يحيى بـن زكريا عليه السلام، وقد ذاع أمـره فـي بنـي إسرائيـل، وكان يعظ النـاس بقوله: «**توبـوا، قد اقتـرب ملكوت السموات**»[1].

ويُـراد بملكوت السموات لدى بني إسرائيل: مملكـة السماء، وهي هدفهم النبيل. ولهـذا السبـب - وطبقـاً لتصريح الأناجيـل في مـوارد مختلفة - فإنّ دعـوة يوحنا المعمـدان قـد أحرزت نجاحاً باهـراً، وتركت أثراً عميقاً في نفوس الناس، حتى أن جماعات كثيرة من مختلف شرائح المجتمع كانت تقصده، وتتوب على يديه، وكان هو يعمّدهم (أي يغسّلهم في نهر الأردن لتطهيرهم من الخطايا والذنوب). وكان يحيى

(1) متّى: 2/3، مرقس: 4/1، لوقا: 3/3.

عليه السلام جريئـاً في الحق، يقول ما يعتقـد دون خوف أو وجل من سطوة حاكم وطغيان ملك. وقد ندّد بخطايا هيرودس ملك اليهود الظالم وحاكم ولاية الجليل، الأمر الذي لم يُطقه ذلك الملك، فأمر بقطع رأسه في السجن[1].

التآمر على عيسى عليه السلام

ورد فـي الأناجيـل أن عيسـى عليه السلام قد شرع فـي التبشير وهو فـي الثلاثين من عمره[2]، وقام تعليمه الأساسي على أمرين:

1 ـ توبوا، أي توبوا عن الخطيئة وتوبوا إلى الله.

2 ـ اقبلوا ولاية الله على حياتكم (أي ملكوت الله).

ولما سمع عيسى المسيح عليه السلام بنبأ اعتقال يحيى عليه السلام بارح مدينته الناصرة، وتوجّه إلى مدينة كفرناحوم الواقعة على ساحل بحيرة الجليل.

«وكان [عيسى] يسير في الجليل كله، يعلّم في مجامعهم ويعلن بشارة الملكوت، ويشفـي الشعـب مـن كل مرض وعلة، فشـاع ذكره فـي سورية كلها، فأتـوه بجميع المرضـى المصابين بمختلف العلل والأوجاع مـن الممسوسين والذين يصرعون فـي رأس الهلال والمقعديـن فشفاهم، فتبعتـه جموع كثيرة مـن الجليل والمدن العشر وأورشليم واليهودية وعبر الأردن»[3].

إنّ عيسى عليه السلام كنظيره يحيى عليه السلام بشّر بقرب ملكوت السماء دون أن يخلق له ذلك متاعب مع الناس. وواصل عيسى عليه السلام مهمّة يحيى عليه السلام وبدأ دعوته مبشّراً بقرب ملكوت السماء، وتصدّى للإرشاد والوعظ في الكنائس اليهودية، وتبنّى زعامة الأتبـاع والمؤمنيـن. وقـد أثنى عيسى عليه السلام علـى يحيى عليه السلام غير مـرّة، واقتدى

(1) متّى: 14/1 ـ 12، مرقس: 6/14 ـ 29، لوقا: 9/7 ـ 9.
(2) لوقا: 3/23.
(3) متّى: 4/23 ـ 25، مرقس: 1/14 ـ 15، لوقا: 4/14 ـ 15.

بسيرته الحسنة في نقاشاته وسجالاته مع خصومه[1].

شعـر زعماء اليهود حينهـا أنّ تعليمات يسوع تهددهم، بعـد أن أدركوا أنه لا يلبّي طموحاتهم في ظهور المسيح الفاتح، وأنه ماضٍ في إدانة خطيئاتهم وسوء أخلاقهم، فعمدوا إلى التآمر عليه.

نهاية مسيرة عيسى عليه السلام

أشـارت الأناجيل إلى سيرة المسيح عليه السلام، و أوردت مقتطفات من كلامه، إلاّ أنّ اهتمامها انصبّ بالدرجة الأساسية على تبشيره عليه السلام. وقد جاءت أخبار قتله صلباً فـي نهايـة الأناجيل الأربعة، وخلاصة ما جاء فيها أنـه كان زاهداً، ماضي العزم في إصـلاح مجتمعه المُمزّق البالي، وقد سعـى كل السعي في تنفيذ برامجه الإصلاحية على نطاق واسع، إلاّ أنّ النجاح لم يحالفه كثيراً. ولمّا مضى عليه السلام، وتأسسّت الكنيسة والمجتمـع المسيحي المتمثّل في عدد من تلاميذه وحواريّيه، أخذ هذا الدين ينهض شيئـاً فشيئاً. ويعتقد المؤرخـون أنّ خطة بولس الذي اعتنـق المسيحية بعد المسيح عليه السلام فـي التبشير كان لهـا أكبر الأثر في هـذا الشـأن، إلاّ أنّ الجماعة المسيحية تنسب هذا الدور إلى روح القدس.

وشعر أحبار اليهود بأنّ تعاليم عيسى تهدّدهم، فتآمروا عليه ليقتلوه، وخانه يهوذا الإسخريوطي أحد الرسل، فأُسلم إلى السلطات الرومانية بتهمة التآمر عليها لإطاحة حكمهـا الاستعماري. وفي آخر ليلـة من حياته تناول العشاء مـع رسله، وبعد العشاء الأخيـر ألقت السلطـة الرومانية القبض على عيسى عليه السلام، وحكـم عليه بالإعدام. وتعلّمنا الأناجيل أنّ عيسى صُلب ومات على الصليب وقُبر.

وطبقـاً لما ورد في الأناجيل فإنّ عيسى عليه السلام قـد قُتل على صليب ودُفن ثم بُعث من الأموات بعد أيام ثلاثة، وظهر أربعين ليلة لتلامذته ثم عرج به إلى السماء. وكل

(1) متّى: 21/23 ـ 27، مرقس: 11/27 ـ 33، لوقا: 20/1 ـ 8.

هذه الحوادث حسب السيرة المسيحية قد اتفقت عام 33 م.

غاب عيسى عليه السلام عن الناس، ولكن جماعة من أتباعه ظلّت ملتزمة بعودته زعماً منها أنه مات ودفن في التراب ولكنه بُعث من قبره في اليوم الثالث وعُرج به إلى السماء وسيعود إلى الأرض ليحكمها.

وقالوا أيضاً: إن عيسى عليه السلام قتل فداءً للذنوب التي يرتكبها الناس وادعوا أن أنبياء العهد القديم قد تنبؤوا بمحنه ومصائبه وقتله على الصليب. يشار إلى أن مفردة المسيح قد أُفرغت من محتواها الحقيقي بسبب غياب أي مسح للمُلك ما دعا الرسل إلى القول إنه ممسوح من قبل الله تعالى (أعمال الرسل 4:27). ولا يعتبر المسيحيون عيسى المسيح عليه السلام شهيداً، بل أنه وقع ضحية لذنوب البشر ويصرون على ذلك أثناء التبشير، حتى اعتبر التاريخ هذه الفكرة دعامة للمسيحية.

عيسى عليه السلام ثائراً

كان عيسى عليه السلام كما يُستشفّ من مطالعة الأناجيل من الشخصيات الثورية التي سعت جاهدة إلى إنقاذ المستضعفين من مخالب الظالمين. إلاّ أنّه ينبغي التذكير بأن المسيحيين كانوا وما زالوا يردّدونَ أنّ مهمّة المسيح عليه السلام اقتصرت على الهداية إلى ملكوت السماء، وأنّ صلبه جاء تكفيراً عن خطايا البشر. وهذه النظرة لا تنسجم مع الأناجيل، بيّد أنها تتفق وكلمات بولس.

ونستعرض الآن نماذج من مواقفه الثورية والسياسية:

1 - اختراق تنظيمات العدو:

أوصى عيسى عليه السلام أتباعه وتلاميذه مراراً بالإفصاح عن هويتهم أمام الناس، إلاّ أنه أذن لأحد تلامذته بالمشاركة في جلسات المجمع اليهودي (سنهدرين) مستخفياً، فكان يرفع التقارير لعيسى عليه السلام ليطلعه على مؤامرات المجمع وخيانة

يهـوذا الإسخريوطي. وقد ظل الدور الذي لعبه التلميـذ المذكور - والذي تطلّب منه الإنكار الصوري لعيسى عليه السلام - طيّ الكتمان.

2 - التعميد في الدم:

استعمل المسيـح عليه السلام مصطلح التعميد المقدس لبيان مبلغ شوقه للشهادة في سبيـل الله (التعميـد في الدم). وقد جـاء التعميد بمعنى الشهـادة أيضاً في إنجيل مرقـس: 10 / 38- 39، كمـا ورد في الأناجيل التعميد في المـاء، والتعميد في النار وروح القدس[1].

3 - صليب الشهادة:

يقدّس المسيحيون الصليب كرمز لصلب المسيح الـذي جاء تكفيراً عن خطايا البشر. وقد ورد عن المسيح قوله: «**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبـه ويتبعنـي**». وهذا الكلام يدل بوضوح على أنّ تقديس الصليب يرجع إلى عهد حيـاة المسيح عليه السلام لا أنه رمـز لصلبه. ومعنى حمل الصليب هو الاستهانة بالحياة وإنكار الذات والاستعداد للتضحية في سبيل الله.

4 - السيف بدل السلام:

كان المترفون من اليهود يحملون تصوّراً خاطئاً عن المسيح الموعود، الأمر الذي جعل المسيح يعلن عن أهداف رسالته بغية تصحيح مسار أفكارهم وتصوراتهم: «**لا تظنّوا أنّي جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً** (35) **جئـت لأُفـرّق بين المـرء وأبيه، والبنت وأمّها، والكَنّة وحماتهـا** (36) **فيكون أعداء الإنسان أهل بيته**»[2].

(1) متّى: 11/2، مرقس: 8/1، لوقا: 16/3.
(2) متّى: 34/10 ـ 36.

أما ما ورد عن عيسى عليه السلام من أنّه قال: «**من لطمك على خدّك الأيمن فاعرض له الأخر**»[1]، وفهم منه البعض أنه دعوة إلى التسليم والخضوع أمام الظلم، فهو لا يبدو تصوّراً صحيحاً، لا سيما إذا نظرنا إليه باعتباره موعظة أخلاقية تؤكّد على ضرورة العفو والتسامح في الأمور الشخصية. وهذا القول نظير ما ورد في العديد من الكتب والتشريعات السماوية ولا سيما القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية، من التأكيد على الصبر والعفو عن المذنبين والسلام عليهم وكظم الغيظ عن الأفعال القبيحة[2].

5 - الدعوة إلى الكفاح المسلّح:

حينما علم المسيح عليه السلام أنّ إلقاء القبض عليه بات أمراً وشيكاً، وعلم أيضاً أنه سيعامل معاملة مجرم، سعى إلى الدعوة للكفاح المسلح، إلاّ أنّ دعوته هذه لم تجد آذاناً صاغية، ولم يكترث أصحابه لخطورة ما يدعو إليه من حمل السلاح، فقال لهم: «**... من لم يكن عنده سيف فليبع رداءه ويشتره** (37) **فإنّي أقول لكم: يجب أن تتم فيّ هذه الآية وأُحصى مع المجرمين، فإن أمري ينتهي، فقالوا: يا ربّ، ههنا سيفان، فقال لهم: كفى**»[3].

من هنا، وبسبب التصوّر الخاطئ الذي كان يحمله أصحاب عيسى عليه السلام عن المسيح الموعود، فإنّهم لم يدركوا عمق الخطر الذي يتهدّده، ولم يُبالوا كثيراً بأمره الأكيد بشراء السيوف، ثمّ ما لبثوا أن وقفوا على أهمّية السلاح بعد أن باغت المسيح عليه السلام جمعٌ غفير وهم يحملون السيوف والعصيّ، بيد أنّ عدم أخذهم الأُهبة اللازمة للدفاع، حال دون الاستفادة من السلاح في تلك الظروف الحرجة،

(1) متى:5/39.

(2) راجع على سبيل المثال: سورة النحل، الآيتان: 126-128. سورة المؤمنون،الآية: 96. سورة الفرقان، الآيات: 63-72. سورة فصّلت، الآيتان: 34-36.

(3) لوقا: 22/36 ـ 38.

مـا حدا بالمسيح عليه السلام إلى مناشـدة أصحابه بعدم مواجهة العدو[1]: «**وإذا واحد مـن الذيـن مع يسوع قد مدّ يده إلى سيفـه، فاستله وضرب خادم عظيم الكهنة، فقطع أذنه** (52) **فقال له يسوع: إغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك**»[2].

6 - تحقير الملك:

وصف عيسى المسيـح عليه السلام هيرودس ملك ولاية الجليل بالثعلب، دون أي خوف أو وجـل من ظلمـه وقسوته وهو الذي قتل يحيى عليه السلام. وبهـذا النحو تعامل المسيح عليه السلام مـع ملـك ولاية الجليل. أما بولس الذي جاء بعده فقـد أوصى بإطاعة الملوك والحـكام: « **ليخضـع كل امرىء للسلطـات التي بأيديها الأمر، فـلا سلطة إلاّ من عند الله**»[3].

7 - مخاصمة تجّار الدين:

عنّـف عيسى عليه السلام زعماء اليهود الدينييـن المرائين المتكالبين على الدنيا، ما أثار سخطهم، فراحوا يتآمرون للقضاء عليه.

وأخيـراً، دخـل عيسى عليه السلام في أواخـر أيامه مدينـة القدس، ممتطيـا حماراً مستقبـلاً بحفاوة مـن قبل منتظري ملكوت السموات الذيـن راحوا يهتفون: «**تبارك الآتـي، الملـك باسـم الـرب**». ثم دخل الهيكل بـكل أبّهة وإجلال وطـرد الصيارفة. وامتطـى حمـاراً كان أخـذه عارية، وبعد دخولـه الهيكل «**قلـب طـاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام**»[4].

(1) وهـو نظيـر ما حصل لنبي الإسلام ﷺ خـلال محنة المسلمين في مكّة المكرمة، حيث منع أصحابه من أي عمل مسلح بسبب عدم توفر مقوّمات الدفاع.
(2) متّى: 26/51 ـ 52، مرقس: 14/47، لوقا: 22/50 ـ 51، يوحنا: 18/10 ـ 11.
(3) رسالة بولس إلى أهل روما:13/1.
(4) متّى: 21، مرقس: 11، لوقا: 19، ويوحنا: 12.

وأراد المسيح بعد هذا أن يبلوَ المجتمع الإسرائيلي، فلمّا رأى مخالفة الفرّيسيين العلنية لمواقفه الإصلاحية، أيقن أنّ الشرائط لم تتوفّر بعد لإجراء تغييرات جذرية، الأمـر الذي دعاه إلى مخاطبة مدينة القدس بعـد عتاب شديد لها بقوله: «**أورشليم، أورشليـم يـا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسليـن إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك كمـا تجمع الدجاجـة فراخها تحت جناحيها، فلم تريـدوا** (38) **هوذا بيتكم يترك لكـم قفـراً** (39) **فإنّـي أقول لكـم لا ترونني بعد اليـوم حتى تقولوا: تبـارك الآتي باسم الربّ**»[1].

(1) متّى: 23/37 ـ 39، لوقا: 13/34 ـ 35.

- ولد عيسى عليه السلام - وفقا لإنجيليّ متّى ولوقا - في بيت لحم (على بعد 8 كم من أورشليم)، وهي التي وُلد فيها داود عليه السلام قبل حدود 1000 عام من الميلاد.
- وأُطلق عليه بعد ولادته اسم يسوع، وأبدله اليونانيون والرومانيون إلى يسوس (Iesus، Iesous)، وعُـرف في العربية باسم عيسـى. ولم ترد في الأناجيل أيّة إشارة إلى حياة الطفولة وأوان الشباب لعيسى.
- وتدعي الأناجيل أن عيسى عليه السلام قد شرع في التبشير وهو في الثلاثين من عمره، وقام تعليمه الأساسي على أمرين:

1 - توبوا، أي توبوا عن الخطيئة وتوبوا إلى الله.

2 - اقبلوا ولاية الله على حياتكم (أي ملكوت الله).

- أشارت الأناجيـل بالدرجة الأساسية إلى تبشير المسيح عليه السلام. وقد جاءت أخبار قتله صلباً في نهاية الأناجيل الأربعة.
- نماذج من مواقفه الثورية والسياسية:

1 - اختراق تنظيمات العدو.

2 - التعميد في الدم.

3 - صليب الشهادة.

4 - السيف بدل السلام.

5 - الدعوة إلى الكفاح المسلّح.

6 - تحقير الملك.

7 - مخاصمة تجّار الدين.

أسئلة

1 - تحدّث عن سيرة عيسى عليه السلام وفقًا لما ورد في الأناجيل.

2 - كيف صورت الأناجيل نهاية حياة عيسى عليه السلام .

3 - تحدّث عن موقفين من مواقف عيسى عليه السلام الثورية والسياسية.

من انجيل متى

أما ميلاد يسوع المسيح، فهكذا كان. لمّا كانت مريم أمُّه مخطوبة ليوسف، وجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من روح القدس (19) وكان يوسف زوجها بارّا، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم على أن يطلّقها سرّا (20) وما نوى ذلك حتى تراءى له ملاك الرّبّ في الحلم وقال له: «يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم إلى بيتك، فإنّ الذي كوّن فيها هو من روح القدس (21) وستلد ابناً فسمِّه يسوع، لأنّه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم (22) وكان هذا كله ليتمّ ما قال الرّبّ على لسان النبيّ: (23) «ها إنّ العذراء تحمل فتلد ابنا يسمّونه عمّانوئيل» أي «اللّه معنا» (24) فلمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرّبّ فأتى بامرأته إلى بيته (25) على أنّه لم يعرفها حتى ولدت ابناً فسمّاه يسوع [1].

(1) متّى: 1 / 18- 25.

الدرس العاشر

المسيحية – 2 –
(الرّسل والأناجيل)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يتحدّث عن رسل عيسى والحواريين الاثني عشر.

2 - يتعرّف إلى العهد القديم والجديد ويبيّن الفرق بينهما.

3 - يعدّد الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين.

الرسل الإثنا عشر

اختـار عيسـى المسيح عليه السلام فـي بداية الدعـوة أتباعـاً يستعيـن بهم على نشرهـا. وقد عُرف هؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسى عليه السلام، واختار منهم 12 تلميذاً سمّاهـم الرسل[1]، وأطلق عليهم القرآن الكريم اسم الحواريين. أما أسماء رسل عيسى عليه السلام الاثني عشر الذين ورد ذكرهم في الأناجيل[2] فهي كالتالي:

1 - شمعون بن يونا (بطرس).

2 - اندراوس (شقيق بطرس).

3 - يعقوب بن زبدي.

4 - يوحنّا (شقيق يعقوب).

5 - فيليبس.

6 - برتلماوس.

7 - توماس.

(1) لوقا: 13/6.

(2) متّى: 2/10 ـ 4، مرقس: 16/3 ـ 19، لوقا: 14/6 ـ 16، أعمال الرسل: 13/1.

8 - متّى العشار.

9 - يعقوب بن حلفي.

10 - تدّاوس (يهوذا، شقيق يعقوب).

11 - شمعون الغيور.

12 - يهوذا الإسخريوطي.

شمعون: يُعدُّ شمعون من كبار الرسل، وقد أطلق عليه عيسى عليه السلام اسم بطرس (أي الصخرة)، لأنه يشكّل الحجر الأساس للكنيسة أو المجتمع المسيحي. قصد بطرس - بعد غياب عيسى عليه السلام - مدينة روما عاصمة إيطاليا، ومكث فيها حتى قُتل على يد نيرون، وقد حاز ضريحه الواقع على تلّ الفاتيكان في روما اهتماماً ملحوظاً، وأصبح منذ القدم قاعدة للكاثوليك. وتُعدّ كنيسة القديس بطرس وملحقاتها من قصور وحدائق من أروع الآثار الفنيّة في العالم.

يوحنا: أصبح يوحنّا رسولاً في سنّ الطفولة[1]، وأكمل إنجيله وفق عقيدة المسيحيين في نهاية القرن الأول وهو في سنّ الشيخوخة.

متى: قد كتب متّى الرسول أحد الأناجيل، كما نسب بعض رسائل العهد الجديد إلى بطرس ويوحنّا وبقيّة الرسل.

وقد أفادت الأناجيل بأنّ جميع الرسل انفضّوا من حول عيسى عليه السلام، حينما أُلقي القبض عليه، وكان يهوذا الإسخريوطي قد خان المسيح من قبل، وأرشد إليه الفرّيسيين والرومان، وسهّل لهم صلبه، وتقاضى منهم على ذلك أجراً.

ولمّا مضى عيسى عليه السلام، وبغية إكمال عدد الرسل الاثني عشر، تمّ انتخاب (متياس) بدلاً عن يهوذا الإسخريوطي[2].

(1) متّى: 16/18 ـ 19، يوحنا: 21/ 15 ـ 19.

(2) أعمال الرسل: 1/15 ـ 26.

بولس: على الرغم من أنّ عيسى عليه السلام عيّن بطرس خلفاً له، إلاّ أنّ رسولاً آخر هو بولس حاز على مكانة أفضل حتى عُدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.

وكان بولس الروماني الجنسية من اليهود المتطرّفين الذين اضطهدوا المسيحيين بقسوة، ثمّ ادّعى أنه بينما كان يسير في طريقه من مدينة القدس إلى دمشق لإلقاء القبض على بعض المسيحيين، آنس في الطريق نور عيسى عليه السلام، فاعتنق المسيحية بأمره عليه السلام[1].

ثم أخذ بعد هذا التحوّل المفاجىء، في التبشير بالمسيحية، فتحمّل في هذا السبيل ألواناً من المحن، وطاف مدناً عديدة، ونشر المسيحية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ووجّه رسائل إلى حديثي العهد بالمسيحية، نُقل بعضها في العهد الجديد.

وقد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها بولس صراعاً عنيفاً بينه وبين بطرس وسائر الرسل، وانعكس جانب من هذا الصراع في سِفر أعمال الرسل، وفي رسائله. كما أشار بولس عند تعداد فضائله وتذليله للعقبات التي واجهته في التبشير، أشار إلى الإخوة الكذّابين، ويريد بهذا الاصطلاح الرسل الذين خالفوا أفكاره.

وقد جاء شرح سيرة بولس وأفكاره في سفر أعمال الرسل وفي رسائله، وتعرّض لانتقاد شديد في أول إنجيل برنابا[2] وآخره، في حين نسب بعض الأحاديث الإسلامية[3] ضلال المسيحيين إلى بولس (المتوفّى حدود 64 أو 67 م). وقد سردت أسفار الرسل وكتبه الموجودة سيرته الذاتية وأفكاره، ووجّه إنجيل برنابا سهام النقد والطعن صوبه، كما يعزو بعض الأحاديث الإسلامية إضلال النصارى إليه. توفي بولس كما يقال في روما في حدود الأعوام 64 ـ 67، ويذهب المسيحيون إلى أنّ

(1) أعمال الرسل: 1/9 ـ 31.
(2) ينكر المسيحيون إنجيل برنابا.
(3) راجع بحار الأنوار، ج8،ص311.

عـدداً من الرسل مثل بطرس وبولس قد استشهدا. هذا ولم تتعرّض الكتب التاريخية المستقلة لرسل عيسى عليه السلام بشيء.

الكتاب المقدّس: العهد القديم والجديد

يتألّـف الكتاب المقدّس من قسمين: العهد القديم، والعهد الجديد. ويرجع سبب هذه التسمية –حسب التصور المسيحي– إلى أن الله أخذ من الإنسان ميثاقين:

الأول: الميثاق القديم: ويعود إلى الأنبياء قبل عيسى المسيح عليه السلام، وقد بيّن فيه سبل النجـاة من خلال الوعد والوعيد والقانون والشريعة. ويعتبر العهد القديم فـي الحقيقـة الكتاب السمـاوي لليهود، ويحظـى باحتـرام المسيحيين، الذين جعلـوه في بداية كتابهم المقدّس. ويعتبر لديهم عهد الله الذي أخذه من البشر عن طريق الوحي اللفظي.

الثانـي: الميثاق الجديد: الذي بدأ بظهور المسيح عليه السلام، وبيّن فيه أنّ النجاة تكمن فـي المحبّـة. ويعتبر لدى المسيحييـن عهد الله الذي أخذه مـن البشر عن طريق المسيـح لا عن طريق الوحي كما في العهد القديم. وهنا يقول المسيحيون: حينما تـم إبلاغ هذا العهد قبل عشرين قرناً تجلى الله بصورة البشر وحل في إنسان هو عيسـى عليه السلام. وعلـى هذا الأساس فالتعبير الرائج بين النصـارى هو أن الكلمة صارت جسمـاً. وقد اشتُقّ تعبير الكلمة في اللاهوت المسيحي من هذا المصطلح الفلسفي القديم.

وحسب عقيـدة المسيحيين فإنّ الهدف من تجسّـم الله للبشر لم يكن الحديث عـن الشريعـة والبحث في الحلال والحرام بل الهدف هو أن الله بعد التجسم يكون قرباناً لذنوب البشر. وقد أصبحت هذه المسألة محور المسيحية كما دلّ على ذلك التاريخ.

وقـد دُوّن العهد الجديـد باللغة اليونانيـة، وتصدّرته أربعة أناجيـل، وتعني كلمة

«**الإنجيل**» اليونانية: البشرى، أي البشرى بقرب ملكوت السموات أو بالميثاق الجديد. ويُعـدّ العهد الجديد الذي يخلو من أسفـار أبوكريفا موضع اتفاق جميع المسيحيين، ثم أخذت هذه الأسفار تحظى بالقبول تدريجياً خلال القرون الثلاثة الأولى.

والفـرق بين العهد القديم والجديد هـو أنّ العهد القديم يتضمّن أحكاماً وشرايع وأمـراً ونهيـاً، أي يقول افعل ولا تفعل، وهذا جائز وذاك غير جائز، هذا اللحم حلال وذاك حرام وأمثال ذلك، وأما العهد الجديد فلم تطرح فيه هذه المسائل بل طرحت مسألـة الاعتقاد بأنّ الله ظهر للبشر بلباس إنسـان محبة بهم، وبعد تحمّله لصنوف من العذاب والمصائب قتل صلباً من أجل غفران ذنوب البشر.

ويصـرُّ المسيحيون على عـدم استعمال تعبير «**الشهيد**» و «**الشهـادة**» ويقولون إن المسيح أصبح قرباناً وفدى نفسه لذنوب البشر. وقد اقتصر هذا التعبير على العديد من الحواريين مثل بطرس وبولس دون أن يشمل عيسى المسيح عليه السلام.

أقسام الكتاب المقدّس

لقـد تُرجم الكتاب المقدّس إلى لغات كثيرة من قبل منظّمات عديدة أنشئت لهذا الغرض في جميع أنحاء العالم، منها جمعية الكتـب المقدّسة التي أُسّست في لندن عـام 1804 م، وأنشأت لهـا فروعاً في أكثر الدول. ويبلغ مجموع أسفار العهد القديم والعهد الجديد 66 سِفراً، منها 39 سِفرا تعود للعهد القديم (سبق الحديث عنها في اليهودية)، و27 سفراً تخصّ العهد الجديد، الذي يمكن تقسيمه موضوعياً إلى أربعة أقسام:

1 - الأناجيل.

2 - أعمال الرسل.

3 - رسائل الرسل.

4 - الرؤيا والمكاشفة

1 - الأَناجيل:

أقدمت نخبة كبيرة من تلاميذ وحواريّي عيسى عليه السلام على تدوين سيرته ودعوته، وأُطلـق على مدوّناتهم فيما بعد اسم الأناجيل. وقد نالت أربعة منها اعترافاً رسمياً، وهُجرت بقية الأناجيل[1]. والأناجيل المعتمدة، هي:

1 - انجيل متى.

2 - إنجيل مرقس.

3 - انجيل لوقا.

4 - انجيل يوحنا.

يُذكر أن مصنّفي الإنجيليْن الأول والرابع كانا من حواريّي عيسى عليه السلام، ومصنّفي الإنجيليْـن الثاني والثالث كانا من حواريّي حواريّيه عليه السلام، وهم أشبه بالتابعين عند المسلميـن. ويغلـب على الأناجيل الثلاثـة الأولى طابع الانسجام فيمـا بينها وتسمّى بالاناجيل الإزائية.

2 - أعمال الرسل:

دوّنـت في القـرن الأول كتب كثيرة عن سيرة رسل المسيـح عليه السلام، إلاّ أنه لم يُقَرّ إلاّ واحـد منها، عُرف بسفـر أعمال الرسل الذي دوّنه لوقا مؤلِّف ثالث الأناجيل حول سيرة الرسل ولا سيما بولس.

(1) لـم يعتـرف المسيحيـون بإنجيل برنابا، الذي حـاز على اهتمام المسلمين، و فيـه بشارات عديدة بظهور الرسـول الخاتـم ﷺ. واعتبروه إنجيلاً مجعولاً. قد ورد اسم إنجيـل برنابا في الفهرست الذي نشره البابا جلاسيوس الأول قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ولكن المسيحيين يزعمون أنّ الإنجيل المذكور قد فُقد ولا صلة لـه بإنجيـل برنابا الحالي. ويوجد لدى المسيحييـن أيضاً شيء مكتوب حظـي باحترامهم، يُعرف برسالة برنابا. ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ الرسالة المذكورة هي غير إنجيل برنابا.

3 - رسائل الرسل:

اكتسبت الرسائل التي وجّهها بعض رسل المسيح إلى المجتمعات والأفراد أهمية بالغة، ثمّ أخذت شيئاً فشيئاً طريقها إلى العهد الجديد الذي ضمّ 21 رسالة، منها 13 رسالة لبولس وفيها الإشارة إلى مواعظه ونقاشاته وسجالاته، ورسالة واحدة لمجهول، ورسالة أخرى ليعقوب الذي كان كثير الانتقاد لبولس، ونُسبت بقية الرسائل إلى بطرس ويوحنا ويهوذا.

4 - الرؤيا والمكاشفة:

راجت قبل ظهور المسيح عليه السلام كتب مكاشفات عديدة في أوساط اليهود، وأبرز نموذج لها هو سفر دانيال في العهد القديم. وقد دوّن المسيحيون أسفاراً في شكل رؤيا أو كشف إلى جانب صياغة سفر الرؤيا في العهد القديم بنحو ينسجم مع أهدافهم.

واستأثرت رؤيا يوحنّا التي جاءت في آخر العهد الجديد باهتمام واسع، وجرى التقليد المسيحي على الاعتقاد بأنّ يوحنّا الذي هو أصغر حواريي عيسى عليه السلام سنّاً، قد فصّل وشرح رؤياه وختمها بانتصار المسيحية على قوى الشرّ. ويشتمل هذا القسم على سفر واحد، هو رؤيا يوحنّا اللاهوتي.

- اختـار عيسـى المسيح عليه السلام فـي بداية الدعـوة أتباعاً يستعيـن بهم على نشرهـا، وقد عُرف هـؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسـى عليه السلام، واختار منهم 12 تلميذاً سمّاهم الرسل[1]، وأطلق عليهم القرآن الكريم اسم الحواريين.
- يعد شمعون من كبار الرسل، وقد أطلق عليه عيسى عليه السلام اسم بطرس (أي الصخرة)، لأنه يشكّل الحجر الأساس للكنيسة أو المجتمع المسيحي.
- أفـادت الأناجيل بأنّ جميـع الرسل انفضّوا من حـول عيسى عليه السلام، حينما أُلقـي القبض عليه، وكان يهوذا الإسخريوطي قد خانه من قبل، وأرشد إليه الفرّيسيين والرومان، وسهّل لهم صلبه، وتقاضى منهم على ذلك أجراً.
- كان بولـس الرومانـي الجنسيـة مـن اليهـود المتطرّفيـن الذيـن اضطهدوا المسيحيين بقسوة، ثمّ ادّعى أنه آنس في طريقه إلى دمشق نور عيسى عليه السلام، فاعتنق المسيحية بأمره عليه السلام[2].
- يتألّف الكتاب المقدّس من قسمين: العهد القديم، والعهد الجديد.
- القديـم، ويعود إلى الأنبيـاء قبل عيسى المسيح عليه السلام، وقـد بيّن فيه سبل النجاة من خلال الوعد والوعيد والقانون والشريعة.
- العهـد الجديد، الذي بدأ بظهور المسيـح عليه السلام، وبيّن فيه أن النجاة تكمن في المحبّة.

(1) لوقا: 13/6.
(2) أعمال الرسل: 1/9 ـ 31.

- يمكن تقسيم العهد الجديد موضوعياً إلى أربعة أقسام:

1 - الأناجيل.

2 - أعمال الرسل.

3 - رسائل الرسل.

4 - الرؤيا والمكاشفة.

أسئلة

1 - تكلّم عن بولس الرسول.

2 - ينقسم الكتاب المقدّس لدى المسيحيين إلى قسمين، ما هما؟ تحدّث عنهما.

3 - ما هي الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين؟ أذكرها وتحدّث عنها.

مطالعة

اللّه وقيصر

قيل إنه جاء في الأناجيل «**أوكلوا عمل قيصر لقيصر وعمل الله لله**». ولكن ينبغي أن يُعلم (أولاً) أن العبارة المذكورة في الأناجيل هي على النحو التالي «**أدّوا لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله**»، (ثانياً) أن الكلام المذكور فاقد الدلالة، لأن المسيح قاله في حال التقية:

«(20) **فترصّدوه وأرسلوا جواسيس يظهرون أنهم من أهل الورع، ليأخذوه بكلمة فيسلموه إلى قضاء الحاكم وسلطته** (21) **فسألوه: يا معلّم نحن نعلم أنك على صواب في كلامك وتعليمك لا تُحابي أحداً، بل تعلّم سبيل الله بالحق** (22) **أيحلّ لنا أن ندفع الجزية إلى قيصر أم لا؟** (23) **ففطن لمكرهم فقال لهم** (24) **أروني ديناراً! لمن الصورة التي عليه والكتابة؟ فقالوا: لقيصر** (25) **فقال لهم: أدّوا إذاً لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله**»[1].

وبيّن عيسى عليه السلام الخطوط العريضة لرسالته لما وعظ من على سفح جبل، وقال كما في إنجيل متى:

«(17) **لا تظنوا أنّي جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئتُ لأبطل بل لأُكمل** (18) **الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض** (19) **فمن خالف وصيّة من أصغر تلك الوصايا وعلّم الناس أن يفعلوا مثله عُدّ الصغير في ملكوت السموات وأما الذي يعمل بها ويعلّمها فذاك يُعدّ كبيراً في ملكوت السموات....** (38) **سمعتم أنه قيل العين بالعين والسنّ بالسنّ** (39) **أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّير، بل من لَطَمك**

(1) لوقا: 20/20-21.

على خدّك الأيمن فاعرض له الاخر»[1].

وقـد تصوّر بعضهـم أنّ معنى العبـارة الآنفة الذكر هو التسليـم والخضوع أمام الظلـم، ولكن هـذا التصوّر ـ كما يبدو ـ بعيد عن الصحـة، ولا سيما إذا نظرنا إليها باعتبارها موعظة أخلاقية تؤكّد على ضرورة العفو والتسامح في الأمور الشخصية، وهي نظير ما جاء في القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية وسيرة الأنبياء والأولياء مـن التأكيد علـى الصبر والعفـو عن المذنبيـن والسلام عليهم وكظـم الغيظ عن أفعالهم القبيحة.

(1) متّى: 5/17-39.

الدرس الحادي عشر

المسيحية – 3 –
(تأسيس الكنيسة والفرق)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يبيّن كيفية تأسيس الكنيسة.

2 - يذكر كيفية انتشار المسيحية.

3 - يتحدّث عن الكنائس المسيحية الأساسية.

تأسيس الكنيسة

عرفت الجماعة الأولى التي ورد ذكرها في أسفار العهد الجديد بـ «**الكنيسة الرسولية**»، أي كنيسة الرسل وأجيال المسيحيين الأوائل. وتمتدّ هذه الحقبة على وجه التقدير بين سنة 30 وسنة 100. وقد وصف سفر أعمال الرسل حياة الجماعة المسيحية الأولى على الوجه التالي:

«**كانوا يواظبون على تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز (43) واستولى الخوف على جميع النفوس لما كان يجري عن أيدي الرسل من الأعاجيب والآيات (44) وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم (45) يبيعون أملاكهم وأموالهم، ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم (46) يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب (47) يسبحون الله وينالون حظوة عند الشعب كله**»[1].

ولكن هذه (الحظوة) تحوّلت مع الأيام إلى عداوة من جهة اليهود أولاً ثم من قبل الامبراطورية الرومانية.

(1) أعمال الرسل:2/42-47.

ثـم بعـد بعد هذه المرحلـة انطلقت في أورشليـم وبقيادة يعقـوب الرسول (أحد الحواريـيـن الاثني عشر) جماعة مسيحية من أصل يهودي، فكثر عددها في المدينة ثمّ في نواحي فلسطين، كما انطلق مرسلون من أمثال بولس وبرنابا، فحملوا البشارة إلـى غير اليهود. ولقد قامت في أعقاب ذلك أولى الأزمات التي واجهت الكنيسة، إذ طـرح هذا السؤال: هل ينبغـي للوثنيين المهتدين أن يصبحـوا أولاً يهوداً، ويخضعوا للشريعة اليهودية قبل أن يسمح لهم باعتناق المسيحية؟

كان موقـف بولـس – وقد تبنّاه أيضـاً بطرس ويعقـوب –؛ أن الله أقام عيسى من الأمـوات، فأفسـح المجال أمـام زمن جديد للخلاص، وعليه فلم يَعُـد المسيحيون مضطرّين إلى اتباع الشريعة اليهودية.

ثـمّ أخـذ المهتدون مـن الوثنية يـزدادون عدداً بفضـل تبشير الرسـل في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانيـة، فغلب في الكنيسة المسيحية العنصر الآتي من غير اليهوديـة، وتكوّنـت جماعات صغيرة مـن المؤمنين، توزّعت في مـدن الإمبراطورية مـن سورية الى مصر، فالأناضول، فاليونان، فإيطاليا. ويشير التقليد إلى أنّ بطرس اعتبر رئيساً لجماعة الرسل في أورشاليم أولاً ثم في أنطاكية، وأخيراً في روما حيث أعدم في أيام نيرون.

أسباب انتشار المسيحية

ثمّـة عاملان رئيسيان يؤثّران في نمو وانتشـار أي دين: أحدهما: تحمّل الضغوط والمصاعب في سبيله، والثاني: التبليغ، فالدين إذا أهمل يموت.

وقـد تعرّض المسيحيون طيلـة 300 سنة من ظهور المسيحية إلـى ألوان من المحن والاضطهاد، وقدّموا ضحايا كثيرة في هذا السبيل، إلا إنّ ازدياد عددهم في الإمبراطورية الرومانيـة أدّى إلـى الاعتراف بهذا الديـن رسمياً في النصف الاول مـن القرن الرابع، وعلى إثر العامل الثاني، أي التبليغ والتبشير، أخذ ينتشر في أرجاء واسعة من العالم.

إنّ بعض الأديان مثل اليهودية تفتقر إلى التبليغ، إيماناً منها بأنّ كثرة الأتباع لا يعزّز كيانها، بينما أولت أديان أخرى كالإسلام والمسيحية اهتماماً كبيراً بالتبليغ، فالوفود والهيئات التبشيرية المسيحية بعثت قديماً إلى معظم أرجاء العالم لنشر الدين المسيحي. وفي القرون الأخيرة وعلى إثر ازدهار الحضارة الغربية وظهور الاستعمار والغزو الثقافي أخذت المسيحية تنتشر في الشرق أيضاً.

ظهور الجدل الكلامي

انتشرت المسيحية في أرجاء الامبراطورية الرومانية، وأخذ المفكّرون يستعملون المصطلحات الفلسفية والمفاهيم السائدة في أيّامهم للتعبير عن العلاقة القائمة بين الله وعيسى، وبهذه الطريقة تبلور علم اللاهوت المسيحي.

بعض المسيحيين الأوائل تأثّروا بالأفكار الغنوصية، فأنكروا إنسانية عيسى عليه السلام. وكان الغنوصيون يعدون عيسى عليه السلام ملاكاً حمل معه معرفة سرية للّه. وإلى جانب هؤلاء، قام الظاهريون فقالوا إنّ عيسى ظهر فقط بمظهر البشر، ولم يكن له جسم بشري، ولم يمت على الصليب. أما الكنائس المسيحية، فقد شجبت في القرن الثاني تعاليم الغنوصيين والظاهريين، وأكدت على حقيقة الإنسانية في عيسى عليه السلام.

المسيحية في روما

لما استقامت الكنائس، نهض الأساقفة بأعباء كل كنيسة من الكنائس المحلّية، يعاونهم في ذلك القسّيسون، واهتم الشمامسة بشؤون العجزة والبائسين، وقدّموا ألواناً من أعمال البرّ والإحسان. وظهر في المجتمع المسيحي بالإضافة إلى هؤلاء أفراد ذوو مواهب خاصة من مبشرين ودعاة ومعلمين، قاموا بخدمة الكنيسة وترسيخها أيضاً، وكان البعض منهم يدعي أنه يتحدّث بإلهام من روح الله...

أما موقف السلطات الرومانية من الكنيسة، فكان متسامحاً في بعض الأحيان،

ولكـن غالباً مـا لجأ الـولاة إلى اضطهـاد الأتباع وقتـل الكثيرين منهـم، بما فيهم بطرس وبولس. ومع مرور الزمن بدأت بعض المراكز كروما وأورشليم والإسكندرية وأنطاكيـة تكتسب أهميـة خاصة وقدرة متميّـزة. وكان لهذه المـدن الأربع بطاركة يرعون شؤونها. كما أنشئت في مناطقهم مقاطعات عرفت باسم «**الأبرشيات**» يتولى أمورها الأساقفة.

ولمـا بنى قسطنطيـن عاصمته الجديـدة القسطنطينية (إسطنبـول) في القرن الرابع، أصبحت هذه المدينة من المراكز الهامّة التي يرعى كنيستها أحد البطاركة.

وقـد تحـوّل المسيحيـون في أيـام قسطنطيـن (المتوفّى 337 م) مـن مجموعة تضطهدها سلطات الامبراطورية الرومانية إلى كيان ذي شأن عبر الاعتراف الرسمي بالكنيسة، الأمر الذي أسفر عن تحوّلات كبيرة في حياتها، ففي ظل الامبراطوريتين البيزنطيـة والرومانيـة أصبـح أغلـب النـاس باستثناء اليهـود مسيحييـن. ولما تمّ الانشقاق بين الكنائس الشرقية والغربية، فإن كلاً من الجانبين اتخذ أسلوباً مستقلاً في المراسم العبادية والفلسفية واللاهوتية.

ولمّـا ظهر الإسلام في شبه الجزيـرة العربية في أوائل القـرن السابع الميلادي وراح الـولاة المسلمون يديرون شؤون المناطق التي سبق أن كانت مسيحية في مصر وبـلاد الشـام وما بين النهرين وشمـال إفريقيا، اضطرّ المسيحيـون إلى أن يأخذوا بعيـن الاعتبار الإسلام دينـاً والمسلمين رفاقاً في الإيمان والمواطنة لا بل حكّاماً في بعض الأحيان.

وفـي القـرن الحـادي عشر وحتـى الثالث عشـر شنّت الـدول الأوروبيّـة الحروب الصليبيـة، فكان من آثارها العـداء والتوجّس الذي استمرّ إلى اليوم لا بين المسلمين والمسيحيين فحسب، بل بين مسيحيي غرب أوروبّا ومسيحيي الديار البيزنطية أيضاً.

وكان لأعمـال التدميـر والتنكيـل والتقتيل التي مارسهـا الصليبيون في هجومهم

على القدس 1099م والقسطنطينية 1024م أسوأ الأثر سواء عند المسلمين أو المسيحيين الشرقيين.

البابوات

ما إن اعتنق قسطنطين قيصر الروم المسيحية في مطلع القرن الرابع الميلادي، حتى أخذ نفوذ الكنيسة يتصاعد بالتدريج، وبدأ تدخّلها في السياسة يأخذ منحىً صعودياً. وفي عام 800 م، توّج البابا زعيم المسيحيين شارلمان ملك فرنسا، فكانت هذه الخطوة بداية لتأسيس الامبراطورية الرومانية المقدّسة. ومنذ ذلك الحين أصبح تدخّل رجال الدين المسيحي في السياسة أمراً علنياً. أعقبه اندلاع الحروب الصليبية وإنشاء محاكم التفتيش، واستمر ذلك التدخّل إلى عام 1806 م، حيث أعلن فيه رسمياً عن إنهاء تدخّل الكنيسة في الشؤون السياسية.

وقد لقّب زعماء الدين بلقب الأب خلافاً لوصية المسيح عليه السلام، كما راج بينهم مناصب وألقاب أخرى، نظير الأسقف، والقديس، وكان يطلق على أسقف مدينة روما باباس، والتي تعني «**الأب**» باليونانية، والبابا «pape» بالفرنسية.

وقد تولّى أكثر من 260 بابا زعامة المسيحية الكاثوليكية. المنصب البابوي لا يتحدّد بزمن معيّن، فإذا توفي البابا يقوم كبار الأساقفة (الكردينالات) بعقد جلسات في الفاتيكان لانتخاب باب جديد، ويتبادلون النظر فيما بينهم، فإن اكتمل النصاب لانتخاب البابا يحرقون أوراق التصويت مع التبن في مداخن خاصة حتى يتصاعد دخان أبيض إيذاناً بانتخاب بابا جديد، ثم يعقب ذلك ظهور أحد الكردينالات أمام الملأ في شرفة، ويقرأ هذه الجملة باللغة اللاتينية «Habemus Papam» وتعني لدينا بابا، ثم يقوم بتعريف البابا الجديد، عندئذ يخرج البابا المنتخب إلى الملأ ويقوم بتحيتهم، وإن لم يكتمل النصاب اللازم فإنّهم يحرقون أوراق التصويت مع العلف في مدخنة خاصة ليتصاعد دخان رصاصي كتعبير عن عدم التوافق على

بابـا معين حتى الآن. وكان البابوات منذ ألف عام يغيّرون أسماءهم عندما يتصدّون لمنصـب البابا، فقد أُطلق اسم يوحنا على 23 من البابوات وبولس على 6 منهم على سبيل المثال.

سائر الأنظمة المسيحية

انقسمـت الأمبراطورية الرومانية منـذ عام 395م إلى غربيـة وعاصمتها روما، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية، التي سقطت أمام ضربات الخليفة العثماني محمد الفاتـح عام 1453م. وكانـت الأمبراطوريـة الشرقية خصماً عنيـداً للامبراطورية الغربية التـي يتزعمها البابا. هـذه المخاصمة انتهت بظهور الكنيسـة الأرثوذكسية عـام 1054م. ويدور محور النزاع مـع الكنيسة الكاثوليكية حـول مسألة الزعامة إذ لـم ينصع الأرثوذكس لزعامة أسقف رومـا كزعامة موحدة للمسيحيين، بل اعتقدوا بتعدد الزعامات.

وأما الكنيسة الانجليزية فإنها انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية عام 1535م برغبة مـن الملك هنـري الثامن وبعض الـأساقفة، وأصبح الملـك يتمتع بأعلى سلطة دينية ودنيوية. وكان هنري الثامـن مؤسس الكنيسة الانكليكانية ملكاً وأسقفاً أعظمَ، ولكن خلفـاءه فوضـوا أمر الزعامة الدينية إلـى أسقف آخر انطلاقاً مـن سلطة الأساقفة الدينية العليا.

الفرق المسيحية

ظهـرت في المسيحية كسائـر الأديان فرق ومذاهب متعـدِّدة، كان بعضها قديماً وبعضها الآخر متأخِّراً نسبياً. وكثر أتباع بعض منها وقلّ أتباع بعض آخر.

ويطلق المسيحيون على الفرقة اسم الكنيسة، وثمّة ثلاث فرق أو كنائس كبرى في المسيحيـة إلى جانب فرق صغيرة، والاختـلاف بين بعضها كالكاثوليك والارثوذكس

جزئـي للغاية، وبين بعضها الآخر، كالكاثوليـك والبروتستانت كبير. وفيما يلي نشير إلى الفرق أو الكنائس الثلاث الكبرى في المسيحية:

1. الكنيسة الكاثوليكية:

وهـي قديمـة للغاية، يعـود تاريخهـا إلى عصـر الحواريين أي نحـو 2000 سنة. وللكاثوليـك رئيس روحي واحد هو البابـا (pape) أي الأب. وظهرت لهم منذ تبشير رسـل عيسى عليه السلام خمس كنائس كبـرى أقيمت في كل من: أورشليـم والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية وروما.

وقد تـمّ تأسيس كنيسة روما على يد بطرس، وتزعّمهـا بولس لبرهة من الزمان. وقـد اعتبـرت كنيسة روما نفسها أفضـل من سائر الكنائس. وبالفعـل أصبح تفوّقها أمـراً واضحاً. وللكنيسة الكاثوليكية أسقـف أعظم هو البابا، يقضي في الخصومات والمرافعات التي تجري بين الكنائس، ويسلّم إلى رأيه وفتواه. وكان يطلق على أساقفة الكنائـس الخمس الآنفة الذكر- وقبل انتقال كرسي الامبراطورية إلى بيزنطة- اسم بطريـرك. إلاّ أنّ أسقف روما لم يرتض هذا اللقب، واكتفى بعنوان البابا كامتياز له. يشار إلى أنّ معنى الكاثوليكية (Catholic) في اللغة اليونانية: الجامع.

2. الكنيسة الأرثوذكسية:

ظهرت هذه الفرقة قبل ألف سنة، وهي لا تختلف في عقائدها عن فرقة الكاثوليك، غيـر أنها لا تعترف بسلطة روحية واحدة، بـل تذهب إلى أنّ أسقف روما (البابا) هو كسائر الزعماء الروحيين.

وتضـمّ الكنائـس الأرثوذكسيـة البطريركيات الأربـع القديمـة: القسطنطينية، والإسكندريـة، وأنطاكيـة، وأورشليـم إلـى جانب البطريركيـات الحديثـة: روسيا، وصربيـا، ورومانيـا، وبلغاريـا، وجيورجيـا، فضـلاً عـن الكنائـس الأرثوذكسيـة

في قبرص واليونان، والجمهوريتين التشيكية والسلوفاكية، وبولونيا وألبانيا. وينضوي المسيحيون الأرمن في عداد الأرثوذكس في العقائد. وكانت أرمينيا أول دولة في التاريخ تعتنق المسيحية ديناً رسمياً لها، وذلك لما تنصّر ملكها «**تريدات الثاني**» سنة 301 م، على يد القدّيس غريغوريوس المنوّر. ولم تُقبل الكنيسة الأرمنية بمجمع خلقيدونية[1]، لذا فهي ليست متحدة بالكنائس الكاثوليكية أو الأرثوذكسية. والزعيم الروحي لتلك الكنيسة هو كاثوليكوس (جاثليق) إتْشمِيدَزين. ويختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في بعض المسائل الكلامية، فهم يعتقدون مثلاً أنّ روح القدس صادر عن الأب فقط، في حين يعتقد الكاثوليك والبروتستانت أنه صادر عن الأب والابن معاً. وينكر الأرثوذكس وجود المَطْهَر، وهو مكان تطهر الأنفس فيه بعد الموت. ويشار إلى أن معنى أرثوذكس (Orthodox) في اللغة اليونانية: المستقيم الرأي.

3. الكنيسة البروتستانتية:

منذ حوالي 500 سنة وحتّى اليوم، برزت في المسيحية فرق بروتستانتية لا حصر لها. والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بزعامة روحية ومركزية، ولا تقيم وزناً للرهبنة، وترفض عقائد الفرق الأخرى. وتؤمن بمسيحية معرّاة منها، كما أنها حافظت على عقائد غير عقلانية كالتثليث والفداء. يشار إلى أن البروتستانت (Protestant) اصطلاح فرنسي مشتقّ من اللاتينية، معناه: المحتج.

(1)

- ثمّة عاملان رئيسيان يؤثّران في نمو وانتشار أي دين: أحدهما: تحمّل الضغوط والمصاعب في سبيله، والثاني: التبليغ، فالدين إذا أهمل يموت
- تعرّض المسيحيون طيلة 300 سنة من ظهور المسيحية إلى ألوان من المحن والاضطهاد، وقدّموا ضحايا كثيرة في هذا السبيل، إلّا إنّ ازدياد عددهم في الإمبراطورية الرومانية أدّى إلى الاعتراف بهذا الدين رسمياً.
- انتشرت المسيحية في أرجاء الامبراطورية الرومانية، وأخذ المفكّرون يستعملون المصطلحات الفلسفية والمفاهيم السائدة في أيّامهم للتعبير عن العلاقة القائمة بين الله وعيسى عليه السلام.
- كان موقف السلطات الرومانية من الكنيسة، متسامحاً في بعض الأحيان، ولكن غالباً ما لجأ الولاة إلى اضطهاد الأتباع وقتل الكثيرين منهم، بما فيهم بطرس وبولس.
- انقسمت الأمبراطورية الرومانية منذ عام 395م إلى غربية وعاصمتها روما، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية
- الكنائس الثلاث الكبرى في المسيحية هي: الكاثوليكية، الأرثوذكسية، البروتستانتية.
- الكنيسة الكاثوليكية: هي قديمة للغاية، يعود تاريخها الى عصر الحواريين (اي نحو 2000 سنة).
- الكنيسة الأرثوذكسية: ظهرت هذه الفرقة قبل ألف سنة، وهي لا تختلف في عقائدها عن فرقة الكاثوليك، غير أنها لا تعترف بسلطة روحية واحدة.

- الكنيسة البروتستانتية: لا تعترف بزعامة روحية ومركزية، ولا تقيم وزناً للرهبنة، وترفض عقائد الفرق الأخرى.

أسئلة

1 - ما هي أسباب انتشار المسيحية؟

2 - تحدّث عن وضع المسيحية في روما.

3 - هناك ثلاث كنائس لدى المسيحيين، عددّها وتحدّث عن واحدة منها.

النزاع على منصب البابا والحد من صلاحياته

فـي عام 1309 م، انتقل الكرسـي البابوي من روما بإيطاليـا إلى مدينة افينيون بفرنسـا إثر الضغوط التـي مارسها الامبراطـور فيليب الرابع. واستمـرّ هذا الوضع حتـى عام 1377م، أي ما يقرب مـن سبعين عاماً. وأطلق على هـذه الحقبة الجلاء البابلي للباباوات، تشبيهاً لها بجلاء اليهود الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد. ولمـا أعيـد الكرسـي البابـوي إلـى رومـا، عارض ذلـك بابـاوات أفينيـون وأصـرّوا علـى إبقائـه فـي مدينتهـم، فـكان هـذا الأمـر بدايـة للانشقـاق الكبيـر الـذي بـرز عـام 1377م، ودام أربعيـن سنـة، أي حتـى عـام 1417م. وفـي مطلع القـرن الخامس عشر اشتد النـزاع على الكرسي البابـوي بين ثلاثة من البابـاوات، وهم: غريغوريس الثاني عشر بابا رومـا، ومعارضه بنديكتس الثالث بابا أفينيـون، وجـان الثالث والعشرون مرشّـح الامبراطور. وبهذا واجهـت الكنيسة وفي وقـت واحد نزاعاً بين الباباوات المذكورين الذين ادّعى كل واحد منهم أنّ الحقّ إلى جانبه. ولأجل بحث هذه المسألة ومسائل أخرى تمّ تشكيل مجمع كونستانس (1414 ـ 1418 م) الـذي تقرّر فيه عزل البابـاوات الثلاثة، وتعيين البابا مرتينس الخامس، وبهذا الإجراء وُضِعَ حدّ للانشقاق المذكور.

وفي القرن السادس عشر الميلادي بحث نيكولا ماكيا فيلي (1469 ـ 1500م) في كتابه «**الأمير**» المعايير اللازم توفّرها في الحاكم المقتدر، وأوصى أصحاب النفوذ بضرورة طمس القيم الأخلاقية في سبيل الوصول إلى الحكم، تطبيقاً لمبدأ: «**الغاية تبرّر الوسيلة**».

وفـي القـرن السابع عشـر، كتب توماس هابـز يقول: لا يجب الحـد من صلاحية الحاكـم وقدرتـه، لأنها نشأت من عقـد اجتماعي، وبناءً على ذلك فـإنّ من واجبات الحكومة توفيـر الأمن الاجتماعي والاستجابة لمطالـب الشعب. وأكّد جون لاك على هذا الموضوع بقوله: إذا تنصلت حكومة ما من الوعود التي قطعتها على نفسها قبال الشعب فلا بد من تنحيتها عن الحكم.

وفي أواخر القرن الثامن عشر، وبعد سنوات من الهدوء، آل النفوذ السياسي للبابا إلـى الضعف، حيث عمد ملوك فرنسا وايطاليا وبموافقـة الرأي العام إلى الاستيلاء بالقـوة علـى قصور وأمـلاك البابـا ومصادرتها، وبذلـك قوّضوا النفـوذ السياسي للكرسي البابوي، وأطاحوا به.

إنّ اخضـاع البابـاوات لهذا الوضع لم يكـن بالأمر الهيّن، ولهذا أعـادت إيطاليا طبقاً لقانون الضمانات الصادر في 18 أكتوبر عدداً من قصور البابا، ومنحته قدرة سياسيـة محدودة، إلاّ أن البابا لم يوافق علـى القانون المذكور، الأمر الذي أدّى إلى قطـع العلاقات الدبلوماسيـة بين الفاتيكان وإيطاليا، واستمـرت القطيعة 60 عاماً. وأخيـراً وبعـد محادثات طويلـة استغرقت 3 سنـوات، تمّ عقد معاهـدة لاتران (11 شبـاط 1929 م)، الّتي حلّـت فيها مسألة روما، وفي عـام 1984 م، تمّ التوقيع على معاهدة جديدة بين الطرفين كبديلة عن معاهدة لاتران.

الدرس الثاني عشر

المسيحية – 4 –
(العقائد)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

1 - يبيّن معنى اللاهوت المسيحي.

2 - يتحدّث عن الأسرار السبعة.

3 - يشرح معنى التعميد والدرجات المقدّسة لدى المسيحيين.

اللاهوت

يقصد المسيحيون بعلم اللاهوت (أو اللاهوت اختصاراً)، سائر مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم. ويؤكّد اللاهوتيون الأرثوذكس على أنهم لا يعرفون عن الله عزّ وجلّ إلاّ ما أوحاه لهم هو نفسه. وعليه فعلم اللاهوت على وجه الدقة هو علم الوحي. وهو يشمل لدى المسيحيين مجالاً من الدراسات الدينية أوسع من مجال الكلام في الاتجاه الإسلامي.

إنّ المسيحية تحاول أن تنأى بنفسها عن وصمة الشرك، وإذا ما وجدت عبارات لا تليق بالذات الإلهية المقدّسة في مصادرهم الدينية القديمة كالتوراة والإنجيل، فإنّهم يحاولون تبريرها أو صرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة.

ومن جملة الأمور التي تدخل في حدود البحث عن الإلهيات الموضوعات التالية:

- الدراسات المرتبطة بتعليم الكتاب المقدّس.
- الاجتهادات لفهم مجموع الحقائق في ضوء التعاليم المسيحية.
- التطوّرات التاريخية في صيغ التعبير عن الإيمان المسيحي على مر العصور.
- صيانة ما نعرفه عن الله بواسطة العقل وحدّ العقل.

- تبيان معنى القداسة المسيحية وطرق الوصول اليها.
- مبادىء الأخلاقيات، وتطبيق التعاليم المسيحية عملياً في حياة المسيحيين.

والمسيحيــة تحاول أن تنــأى بنفسها عن وصمة الشــرك، وإذا ما وجدت عبارات لا تليــق بالذات الإلهية المقدّسة في مصادرهم الدينيــة القديمة كالتوراة والإنجيل، فإنّهم يحاولون تبريرها أو صرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة.

خلفيات العقائد المسيحية

لاحظ المفكّرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابهاً عجيباً بين المسيحية والأديــان الهنديــة، ورأوا أنّ كثيــراً مــن عقائــد المسيحية كالتثليث والفــداء وقصة الصلــب هي بعينها موجــودة في الأديان الوثنية دون أن يكــون لها جذور تاريخية في عقائد بني إسرائيل.

وممّــا زاد في حيرتهم ودهشتهم أنهم عثــروا على جمل في الإنجيل تشبه الى حد كبيــر جملاً في كتــب الهندوس والبوذيين، كمــا أنّ بعض الألقاب التــي أطلقت على المسيــح مثــل حمل الله، وابــن الله، والفادي وغيرها كانت تطلق علــى غيره في تلك الأديان.

وعلى ضوء ذلك أكّدوا هــذه الحقيقة، وهي أنّ العقائد والاصطلاحات المسيحية فــي هذا الباب قد اقتبست من أديان أخرى، باعتبار أنّ جذورها التاريخية أقدم من المسيحية بمراحل.

وقــد راجت العقيدة المسيحية فــي أوساط الوثنيين حينمــا نادت بعيسى عليه السلام كإلــه منقذ. وهذه العقيــدة توائم تماماً مــا سبقها من أديان خرافيــة لا سيما ديانة ميتــرا، فكما يحتفل فــي 25 كانون الأول (الانقــلاب الشتوي) بذكــرى مولد ميترا، فــإن المسيحيين يحتفلون فيه بذكرى مولــد المسيح عليه السلام، وحتى يوم السبت الذي هــو سابع الأيام لدى اليهــود والذي حظي في شريعة موسى (التــوراة) بتقديس الله

سبحانه، قد تمّ استبداله بيوم الأحد نتيجة التأثّر بالأفكار الميترائية التي تذهب إلى اعتبـار اليوم الأول (الأحد) يـوم الشمس الفاتح. وفي زمن انتشار المسيحية لم يبق صقـع في حوضـ البحر المتوسط إلاّ وراج فيه التفكير بالأم العذراء وابنها الذي قتل تكفيـراً عن خطايـا البشر، واقتبس بأسلوب ماهر من أسطـورة إلهة الأرض العذراء ونجلها فاكهة الأرض الذي يخرج إلى الدنيا لكي يموت ثم يتحول في التراب إلى بذر للفاكهة القادمة، وتبدأ عندها دورة جديدة.

وفـي المسيحية طقوس غلب عليها الطابع المسيحي على الرغم من اقتباسها من أديـان قديمة، كالعشاء الربّانـي المقتبس من ديانة ميترا ثمّ دمج بالعشاء المسيحي الفلسطيني.

وإنّ ثمّـة عامـلاً رئيساً رجّح كفـة الاعتقاد بالمسيح الفادي عنـد المسيحية على سائـر الأديـان التي تؤمن بالفداء، وهـو بولس، ذلك القديـس اليهودي الذي ظهرت براعته في تقريب بعض هذه الأفكار إلى المسيحية. وهو أول من احتضن فكرة توثيق الصلـة بين اسرائيل ومعبد أثينا، ومعبد أورشليم بمذبح ميترا، ويهوه إله الإسينيين بالإله المجهول لتل أورباغوس[1].

تجـدر الإشـارة إلى أنّه فـي عـام 1947 اكتشفت طوامير في صحـاري فلسطين وفـي مغارات ساحل البحر الميّـت، أدّت إلى نشوء حركة فكرية حول المسيحية، فقد اشتملـت تلـك الطوامير على مقاطع مـن الكتاب المقدّس والتفاسيـر والأدعية يعود تاريخهـا إلـى ما قبل 2000 سنـة، أي إلى عصر المسيـح عليه السلام تقريباً. وقد ذهب العلماء بعد مطالعة تلك الطوامير إلى أنّها تتعلّق بفرقة الأسينيين، التي مرّت الإشارة إليهـا في مبحث اليهودية، والذين غلبت عليهـم حياة التصحّر، وراجت بينهم أفكار عرفانية، واستبدّ بهم الشوق لرؤية مسيح بني إسرائيل، وقد أودعوا كتبهم في جرار،

(1) Davies, A.powell, The Meaning of the Dead Sea: New york, New American Library, 1956, pp. 8991-. Scorlls

وأخفوها في مغارات بالقرب من البحر الميّت ثم جُهل مصيرها وانقطعت أخبارها.

إنّ كشف هذه الطوامير انعكس بشكل عجيب على المحافل العلمية في العالم ولا سيما بعد أن أثبتت التجارب أنها صحيحة ومعتبرة وليست مزيفة كما تصوّر ذلك بعضهم في بداية الأمر. حتى قال بعض العلماء: إنّ الطوامير المكتشفة ستغيّر رؤيتنا العلمية تجاه المسيح عليه السلام وبداية المسيحية[1].

ألوهية المسيح في الأناجيل

أطلق (ابن الله) في الإنجيل، ونطالع في هذا الصدد ما جاء في حق سليمان عليه السلام: «**لأني إياه اخترت لي إبناً وأنا أكون له أباً**»[2]. وتكرّر استعمال هذا الاصطلاح في الأناجيل الأربعة، وسائر أسفار العهد الجديد، كالنص التالي المنقول عن عيسى عليه السلام:

«**أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وصلّوا من أجل مضطهديكم (45) لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات، لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجّار**»[3].

ويقول يوحنّا، مصنّف الإنجيل الرابع عن حواريي عيسى عليه السلام: «**أما الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله**»[4].

ووفقاً لعقيدة المسيحيين فإنّ الأناجيل (الإزائية) التي يسودها طابع الانسجام دونّت قبل إنجيل يوحنّا بعدة عقود، ودُوّن إنجيل يوحنا حدود عام 100م، أي بعد 30 سنة من وفاة بولس.

(1) Davies, A.powell, The Meaning of the Dead Sea: New york, New American Library, 1956, pp. 8991-. Scorlls

(2) سِفْر الأخبار الأول: 6/28.

(3) متّى: 5/44 ـ 45.

(4) يوحنّا: 1/12.

ويتضح من خلال مقايسة إجمالية بين محتوى الأناجيل الثلاثة الأولى وإنجيل يوحنّا، أنّ الأناجيل المذكورة لم تغالِ كثيراً في عيسى عليه السلام خلافاً لإنجيل يوحنّا الذي شحن بالغلو، كالقول بألوهيته عليه السلام، فقد جاء فيه: «**إنّ سبب مخالفة اليهود لعيسى عليه السلام يعود إلى أنّه عليه السلام جعل من نفسه إلهاً**»[1].

يشار إلى أن الكلام المثبت للسيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة، يتضمّن ولمرات عديدة تعبير (إلهي) عند ذكره عليه السلام لله عز وجل، مثال ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا: «**إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم**»[2]. وهذا مشهود في صلاته وعبادته وتضرّعه إلى الله أيضاً. ونطالع في إنجيل متى[3] ومرقس[4] أن آخر صرخة لعيسى كانت: «**إلهي لماذا تركتني**».

الثالوث

لم ترد كلمة «**ثالوث**» في الكتاب المقدّس قطّ، وأول استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان على لسان ثاوفيلس الأنطاكي عام 180. بيد أن أسس مفهوم الثالوث تلمس في العهد الجديد، وقد أفصحت عنها عبارة إعطاء حق التعميد الوارد في إنجيل متى: «**عمّدوهم باسم الأب، والابن، الروح القدس**». أو بما ورد من أن عيسى كان يعلّم تلاميذه أن يصلّوا قائلين: «**أبانا الذي في السماوات**»[5]. وبكل الأحوال ليس ثمة نص صريح وواضح على التثليث في كتاب العهد الجديد، وعبارات مثل «**الأب والابن وروح القدس**» لا تعطي هذا المدلول.

(1) أنظر يوحنّا: 10/31 ـ 38.
(2) يوحنّا: 20/17.
(3) متى: 27/26.
(4) مرقس: 15/34.
(5) متى: 6/9.

وقد ركن بعض المؤلّفين والمفسّرين المسيحيين - العرب منهم بالخصوص- ولأجل وصف حقيقة التثليث والعلاقة القائمة بين الله وعيسى، إلى مفهومي الحلول والاتحاد المذكورين في كتابات الصوفيين، وأنّه بسبب هذه العلاقة الخاصة دُعي عيسى عليه السلام ابن الله، وأنّه ليس المقصود من ذلك بتاتاً أنه ولد ولادة جسدية لأن فهماً من هذا القبيل ترفضه المسيحية أيضاً. وغالباً ما يطلق العهد الجديد اسم روح القدس على الله وليس على الملك جبرائيل، وأنه –الروح القدس- يحيا في قلوب البشر والعالم ويعمل فيها، وأن عيسى عليه السلام حملت به أمه بقوة روح القدس، وكما تظهر الأناجيل روح القدس حالاً في عيسى عليه السلام في صورة حمامة ساعة تعميده في نهر الأردن.

بكل الأحوال يدّعي المسيحيون أنّ طبيعة الثالوثية هي سرّ من الأسرار لا يمكن تبيينه بعبارات بشرية، مع أن الكتّاب والمتصوفين والمتكلمين المسيحيين حاولوا الاستعانة بمعطيات العهد الجديد لإدراك بعض ما يمتّ إلى طبيعة العلاقة بين الله تعالى وعيسى عليه السلام ، إلا أنّهم اعترفوا أنّ جهودهم مهما عظمت ستبقى قاصرة عن فهم حقيقة هذه العلاقة.

تثبيت التثليث في مجمع نيقيا

إنّ فقدان النص الدال على التثليث، وإجمال العبارات المتعلّقة بألوهية عيسى عليه السلام ، دعا المسيحيين إلى توسيع لقب «**ابن الله**»، ونقله من معناه الرمزي إلى معناه الحقيقي. وظلّت مسألة ألوهية عيسى عليه السلام خلال القرون الثلاثة الاولى من ظهور المسيحية، ظلّت موضع اختلاف وجدل إلى أن نهض في أوائل القرن الرابع الأسقف آريوس، فوقف بوجه الاعتقاد بألوهية عيسى عليه السلام ، ثمّ ازدادت المواجهة حدة، ما دعا قسطنطين (وهو أول امبراطور مسيحي) إلى عقد اجتماع في مدينة نيقية بآسيا الصغرى عام 325 م، حضره 300 أُسقفٍ، ناقشوا خلاله رسائل تمتّ إلى الايمان والسلوك، وتمّت فيه المصادقة على ألوهية عيسى عليه السلام

بأغلبيــة ساحقــة، والإعــلان عن شجــب رأي آريوســ، وإصدار القانــون النيقاوي المعروف.

الفداء

يعتقــد المسيحيون أنّ عواقب الخطيئة لا تبقى خارج طبيعة الإنسان، كما ورد في زبــور داود النبــي أدعية متكــرِّرة إلى الله تقول: «**إغسلنــي من إثمــي**»[1]. وفي أغلبية الديانــات يرمز غسل الجسد إلى الاعتراف بوصمة الخطيئة وعدواها، والحاجة إلى قوة الله المطهرة ونعمته.

وكما أن جميع الناس يشاركون في الخلل الموضوعي الناتج عن الخطيئة، فممثل واحــد للبشرية يمكنه أن يكفّر عن هذا الخطــأ. والمسيحيون يؤمنون بأن يسوع حقق التكفير عن ذلك الخلل مرة واحدة لجميع الأزمات، وأنه باستسلامه الكامل وطاعته التامة هدم الحاجز الذي رفعته الخطيئة بين الله اللامتناهي في الصلاح والإنسان المتمرّد. وعمل الهدم والتكفير هذا لا أحد يستطيع القيام به سوى واحد هو نفسه بلا خطيئة ومتحد كامل الاتحاد بالحكمة الإلهية.

يقول المسيحيون في بعض الأحيان إنّ موت يسوع هو ذبيحة، ويرون في موت يسوع إقامــة للعهــد الجديد بين الله والبشرية جمعاء، لا بينه تعالــى وبين الشعب اليهودي وحده. ففي أثناء العشاء الأخير، قال يسوع: «**خذوا واشربوا، هذا هو دمي، دم العهد الجديــد، الــذي يهــراق عنكم وعــن الجميع لمغفــرة الخطايا**». والحيــاة الجديدة الناتجــة عــن ذلك هي حياة لم يعد فيهــا مجال لتكون الخطيئــة الموضوعية عائقاً، فالجنس البشري بأجمعه تصالح بواسطة ممثله، مع الله عز وجل.

(1) المزامير: 2/51.

الأسرار السبعة

يؤمــن المسيحيون بأنّ المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه ومعه، وأنه ما زال ينجــز الأعمال التي كان ينجزها مدّة حياته في بلاد فلسطين من تعليم، وصلاة، وخدمات، وشفاء المرضى، وإطعام الجياع، ومسامحة الخطاة، وتكبّد الآلام والموت. وأن تلــك الأعمال غيــر المنظورة التي قام بها المسيح تصبح منظورة في الحياة التي تحياها الكنيسة بالأسرار، أو بعبارة أخرى؛ عندما يشترك المسيحي في أحد الأسرار فإنّه يؤمن إذ ذاك بأنه يلتقي المسيح الذي قام من الموت ومنحه نعمة الله المخلّص.

هــذا، ويتفق جميع المسيحيين تقريبــاً على أن السرّيْــن الأساسيين هما التعميد والعشــاء الربّانــي، وثمّة خمســة أسرار أخــرى يعتقد بهــا المسيحيــون الأرثوذكس والكاثوليك، فيكون مجموع الأسرار سبعة.

والأسرار السبعة هي: التعميد- التثبيت- الزواج المسيحي- الدرجات المقدّسة- المصالحة- مسحة المرضى- العشاء الربّاني.

أمــا البروتستانــت فإنّهم يختلفون فــي عدد الأسرار التي يعتقــدون بها باختلاف طوائفهم، على الرغم من أن السواد الأعظم منهم يقبل السّريْن الأساسيين التعميد والعشــاء الرباني. وثمة كنائــس بروتستانتية قليلة لا أسرار عندهــا مثل «**الكويكرز**» و«**جيش الخلاص**».

وفيما يلي سوف نتكلّم عن ثلاثة من هذه الأسرار السبعة، وهي: التعميد، الدرجات المقدّسة والعشاء الربّاني:

1- التعميد:

أول الأســرار وأساسها الذي لا بدّ منــه، هو سرّ التعميد. انه الدخول في الجماعة المسيحية، وبه يأخذ الفرد على عاتقه رسالة الكنيسة عبر الأجيال، ألا وهي الشهادة

لأعمـال الله الخلاصية في عيسى. ويؤمن المسيحي بأنّ التعميد هو الوسيلة التي بها يمنحـه الله سائر المفاعيل الناتجة عن حياة عيسى وموته. والمسيحي. وهو لا يعمّد إلاّ مرّة واحدة، وذلك حينما يدخل في الجماعة المسيحية.

أمـا كيفيـة التعميـد، فهي ترتبط دائمـاً بنوع مـن الغطس في المـاء، ففي بعض الكنائـس يتم سكب الماء على رأس من يطلب التعميـد، وفي بعضها يغطّس المتعمد فـي حوضـ من الماء ثم يخرج منه. ويتم التعميد في عدد مـن الكنائس باللجوء إلى الميـاه في وسط الطبيعة، أي إلى الأنهار أو البحيـرات، ويقرأ القسيس عند التعميد هذه العبارة المقتبسة من إنجيل متّى: «**إني أعمدك باسم الأب والابن وروح القدس**». وتعمّد بعض الكنائس البروتستانتية باسم يسوع فقط.

2 - الدرجات المقدّسة:

بهذا السر يكرّس المرء حياته لخدمة الجماعة المسيحية، ومن خلالها جميع بني البشر، وهناك ثلاث درجات أساسية:

الأولى: المطـران، يمثّل المسيح في منطقة معينـة تدعى الابرشيّة، فينوب عنه معلماً، وإماماً لمراسم العبادة، وخادماً.

الثانيـة: الكاهـن أو القسيس، يعاون المطران في مهامّـه الثلاث المذكورة على صعيد جماعة واحدة.

الثالثـة: الشمّاس، يبشّـر بكلمـة الله، ويساعد الفقـراء والمسنيـن والمرضى والمحتضرين.

أمـا سائـر الالقـاب الكنيسية، مثـل البابـا، والبطريـرك، ورئيـس الأساقفة[1]، والكردينال، والأرشمندريت، والمونسنيور، وسواها، فهي تشير إلى وظائف معينة في الجماعة، ولا مدلول لها على صعيد الأسرار.

(1) جمع أسقف، وهي كلمة يونانية الأصل، معناها الناظر.

3 - العشاء الربّاني (الإفخارستيّا):

وهـو عشاء المسيـح الأخير مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته. في أثناء ذلك العشـاء أعطـى المسيح تلاميـذه الخبز والخمر[1] علـى أنهما جسـده ودمه. ويؤمن المسيحيـون أنهم حين يشتركون في هذا العشاء، يكون المسيح موجوداً معهم وجوداً جسديـاً، ويؤمنون أيضـاً أنه كما أبرم العهد بين الله والشعـب اليهودي بدم الذبائح على جبل سيناء، فكذلك يبرم العهد الجديد بين الله والبشر بدم عيسى المسيح.

وفي أثناء مباركة الخبز والخمر يتلو المترئس كلمات المسيح في العشاء الأخير. وفـي الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكيـة لا يترأس الاحتفال إلاّ الأسقف أو من ينوب عنـه، أي الكاهن، بالإضافة إلى بعض القراءات وتراتيل وصلوات للتوسل والشكران، وعظـة قوامهـا شرح مقاطع من الكتـاب المقدّس، وتطبيقها على حيـاة المسيحيين اليومية، وتبادل السلام.

يشعر الكثيـر من البروتستانت بأنّ العشاء الربّانـي بالغ الخطورة، بحيث ينبغي التهيّـؤ لـه على أتم وجه، فـلا يحتفل به إلاّ فـي بعض المناسبات. وبنـاءً على ذلك يقيـم الكثيـرون منهم عشاء الرب أربـع مرّات في السنة أو مـرّة واحدة في الشهر، أما الأرثوذكس فيحتفلون به في أيّام الأحد والأعياد، أما الكاثوليك فيحتفلون به كل يوم.

(1) من وجهة نظر المسيحية.

- لاحظ المفكِّرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابهاً عجيباً بين المسيحية والأديان الهندية، ورأوا أنّ كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث والفداء وقصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية.
- وفقاً لعقيدة المسيحيين فإن الأناجيل (الإزائية) التي يسودها طابع الانسجام دوّنت قبل إنجيل يوحنّا بعدة عقود، ودوّن إنجيل يوحنا حدود عام 100م أي بعد 30 سنة من وفاة بولس.
- لم ترد كلمة «**ثالوث**» في الكتاب المقدّس قطّ، وأول استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان على لسان ثاوفيلس الأنطاكي عام 180م.
- يعتقد المسيحيون أنّ عواقب الخطيئة لا تبقى خارج طبيعة الإنسان، وكما أن جميع الناس يشاركون في الخلل الموضوعي الناتج عن الخطيئة، فممثل واحد للبشرية يمكنه أن يكفّر عن هذا الخطأ.
- يرى المسيحيون في موت يسوع، إقامة للعهد الجديد بين الله والبشرية جمعاء، لا بينه تعالى وبين الشعب اليهودي وحده.
- يؤمن المسيحيون بأنّ المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه ومعه، وأنه ما زال ينجز الأعمال التي كان ينجزها مدّة حياته.
- هناك ثلاث درجات أساسية لخدمة البشر:

  الأولى: المطران.

  الثانية: الكاهن أو القسيس.

  الثالثة: الشمّاس.

- يتفـق جميـع المسيحيين تقريبـاً علـى أن السرّيّن الأساسييـن للدخول في الجماعـة هما: التعميـد والعشاء الربّاني، وثمّة خمسـة أسرار أخرى يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك، فيكون مجموع الأسرار سبعة.

أسـئـلـة

1 - ما معنى اللاهوت؟ وما هي أهم موضوعاته؟

2 - ما هي الأسرار السبعة؟ وتحدّث عن واحده منها.

3 - ما هو الفداء؟ وما هو موقعه في العقيدة المسيحية؟

مارتن لوثر

في وقت كان الكثيرون في الكنيسة يدعون إلى الإصلاح تفجّرت قضيّة (صكوك الغفران) وراحت تدقّ إسفين الانقسام في كنيسة أوروبّا الغربية. ذلك أنّ عدداً من الوعّاظ المتحمّسين أخذوا يجوبون الأقطار الأوروبيّة مدّعين أنّ كل مؤمن يستطيع النجاة من عقاب الخطيئة فيحال تبرّعه للكنيسة بقدر من المال. فهبّ مارتن لوثر (المتوفّى 1546م) ونشر عام 1517 م، لائحة أدرج فيها 95 فقرة، خالف فيها الكاثوليكية. وإليك نص بعض هذه الفقرات:

- الخلاص يتمّ بالإيمان وحده.
- الكتاب المقدّس هو المرجع الوحيد للإيمان المسيحي.
- لا يجب الاعتقاد بأنّ العشاء الربّاني قربان.
- بطلان الرهبانية والنذر لأجلها.
- إيلاء العلمانيين دوراً أهم في طقوس العبادة وشؤون الرعاية.
- استقلال الكنيسة المحلّية عن روما.
- رفض بعض ممارسات الكاثوليك كالحج والصوم والاعتراف بالخطايا.
- معارضة التجاوزات كبيع صكوك الغفران، والسيمونية.

وكان لوثر يبتغي إصلاح الكنيسة بحسب تعاليم الكتاب المقدس الأصلية (لذا سمّيت حركته بالإصلاح الإنجيلي)، وكذلك العودة إلى إيمان الجماعة المسيحية الأولى. وقد حثّ لوثر الأمراء الألمان على نبذ سلطة البابا وفرض إصلاحه الإنجيلي. وفي العصر الحاضر تنتشر الكنائس الإنجيلية الإصلاحية في بلاد أوروبّا الشمالية (ألمانيا، النرويج، السويد، الدانمارك، وفنلاندا).

دروس في الأخلاق

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

1001024